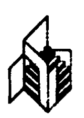
كابتن غزالي
أغنية المقاومة .. ذاكرة الوطن

دراسـة

محمد حسن مصطفى



الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القناة وسيناء الثقافى
فرع ثقافة السويس

رئيس الإقليم
خورشيد عبد المجيد

مدير عام الفرع
احمد رضوان زحام

مدير التحرير التنفيذى
وحيد عبد الله

الإخراج الفنى
محمد حافظ

المتابعة الادارية
أمـــيره خلــــيل

لجنة الإجازة
محمد الــــــراوى
الكابتن غــــزالى
كامـــل عـــــيد

الإهـداء

إلى أصـدقاء الكـاتب الذيـن الـتفوا حولـة بشـكل يومـي طـوال هذه السنوات اعتزازاً بتجربة المقاومة في السويس .

محمد حسن

هذا الكتاب

لم يعزفوا للغزل ، فقلوبهم كانت تنبض بالحب و تبتهج للحياة التي يرونها تتدفق على جبهة طفل فوق صدر أم أو على جبهة رجل تخضّب وجهه بحبات العرق و أحلام الغد .. هم كذلك ، لأنهم أول من رفض الواقع المهين ، و وحدهم بدءوا يملأون بلادهم بطبول الحرية حتى و إن كانت لم تصل إلى بعض الآذان أو لم تتقبلها بعض الآذان الأخرى .

ظلت قلوبهم و عيونهم و أجسادهم تعاني الجروح ورديم منزل هدمته قذيفة غادرة من قذائف العدو .. ظلوا كذلك حتى بعد أن ظهرت إرهاصة الحرية و الشجاعة في قلوبهم .. هزّتهم الهزيمة و تركت بأرواحهم ندوباً غائرة كما هزّت و أدمت قلوب الوطن العربي ، و أعيتهم النكبة كما أعيت قلوب الأمة ، لكنهم كانوا أسرع من الجميع تلبية لنداء النهار و أقدر وجدانياً على مواجهة الحقيقة ، فأقاموا على مرارتها نصُباً من الشموخ و أسسوا من أحزانها هرماً من الصبر و التواصل لمواجهة كل الاحتمالات .. ينسحبون بوجدانهم المتأزم ثوباً قومياً من التوحد ، و يحفرون بكلماتهم درباً صاعداً للغد.

- هذا ما تطرحه على ضمائرنا هذه الدراسة المتأنية الوافية ، و ما تحفره بجلاء و وضوح في ذاكرة الأجيال ، ذلك أن تراث الأمم

حلقات متصلة ، الماضي فيها أساس للحاضر و الحاضر ركيزة للمستقبل ، ينطلق منها بيرقاً يحلق خفاقاً و معياراً موضوعياً براقاً لحقبة هامة من تاريخ هذه الأمة .

يقول الكاتب الصحفي محمد حسن صاحب هذه الدراسة (إن بساطة كلمات ولاد الأرض على أوتار السمسمية ، اجتاحت كل أكاديميات الفنون الأخرى في هذه الفترة ، و أشاعت توجهاتهم الشعبية الصادقة إعجاباً حتمياً لا حدود له في نفوس المثقفين ، و حتى هؤلاء الذين تعاملوا معها بشيء من الحذر و الترقب) . و أرى من جانبي و من وجهة نظر تاريخية أصيلة ، أن الشعب يعانق دائماً من يغني أغانيه .. هذا ما كان يردده الكابتن غزالي في كل مناسبة كانت تجمعنا خلال تلك الأيام الكبوة .

إن أهم ما يلجأ إليه الباحثون في مناهج البحث و الدراسة هو الاستقراء و الاستدلال أو البرهنة على الفعل الصحيح و المنطق السليم . و قد استخدم الباحث محمد حسن في تناوله لهذه الدراسة هاتين الوسيلتين استخداماً موضوعياً فطناً يدل على حضور علمي يعتمد على التحليل العقلي و المنطقي . و هذا ما يمكن أن أسميه بالحجج العقلية الفاعلة .. الدالة و الموصلة إلى المطلوب إثباته ، فهو لم يتحيز لنص دون آخر و لم يتدله في حب نص بذاته من نصوص ولاد الأرض ، بقدر ما كان اهتمامه الأول هو بيان أثر النص و تطابقه مع الواقع الحاصل و المتغيرات المتوقعة و المترتبة على هذا الواقع ، فكل نص كان يمثل موقف أو حالة ، و من جموع هذه المواقف و الحالات يتبين لنا أن فكر ولاد الأرض لم يبدأ من فراغ و لم تكن أغنياتهم مادة للترفيه و التفكه في أماسي المناسبات ، بل كانت دقات تنبيه و زخات وعي أصيل ، تمس قضايا اجتماعية و قومية — آنية أو قادمة — و من هنا نستطيع القول بأنه كان موفقاً في ذلك إلى حد بعيد .

... مـن جانـب آخـر ، تـبين الدراسـة — الـتي تـتكون مـن ثلاثـة فصـول — أثـر فـن الشـعب عـندما تـتلاحم الضـمائر الإنسـانية في القضـايا المصـيرية ليصـبح هـذا الفـن منـبه سـيكولوجي يـتلاقى عـنده رد الفعـل المـتوحد الجـامع . و هـذا في الواقـع نظـرية فلسـفية قديمـة و قـانون اختـيار طبـيعي عرفـنا فحـواه في أعمـال عـبد الله الـنديم و موسـيقى سـيد درويـش و غنائـياتهم للشـعب .. إنهـا نظـرية الكـتاب العاشـر في جمهوريـة أفلاطـون و كـتاب الشـعر لأرسـطو و كـتاب فـن الشـعر البيوتـيقا (Art Poetical) لهوراس .

و لا يحوزنـي هـنا السـؤال (كـيف جـاءت هـذه الدراسـة بمـثل هـذا المستوى الأصـيل مـن الوعـي ؟) ، و ذلـك أنـني أنـك بتلابيـب الجـواب و هـو أن مُعدهـا هـو أحـد أبـناء هـذه الأرض (السـويس) ، عـاش بـاكورة صـباه أتـون هـذه الأيـام . مـن ثـم لم يكـن مسـتغرباً لـديّ ، أن يستشـعر محمـد حسـن هـذا الـبعد النفسـي لأغـاني ولاد الأرض ، إذ كـان أحـد أشـبالها في قـرية مـن قـرى التهجير . نعـم كـان لكـلماتهم هـذا الـبعد السـيكولوجـي العـالي في الـتوحد النفسـي (Identification) بمعـنى القـدرة الـتي تجعـلهم يسـقطون أنفسـهم عقلـياً داخـل الحالـة الخاصـة بمـا يخلـق توحـداً عامـاً يجعـل مـا يطـرحونه مـن قضـايا مصـيرية . يتسـلل بشـكل عفـوي طبـيعي إلى عقـول و قلـوب المسـتمعين ، و ذلـك لأن الـتوحد مـع الحـدث أو الحالـة يعـتمد في مضـمونه المـادي عـلى القـدرة عـلى انـتزاع الـتعاطف فـيجعل جمهـور المتلقين مـتوحدين — لـيس مـع الغـناء فحسـب — و لكـن لـبعد أعمـق و أكـبر قـيمة هـو قضـية الوطـن الأمـة و المصـير الواحـد . و هـو الأثـر المـرجو و المطلـوب في هـذه الحالـة .. هـنا تكمـن عـبقرية أغـاني ولاد الأرض في هـذه الفـترة و الـزمن الفـارق مـن تـاريخ أمتـنا العربـية و الـتي عـبرت عـنها بصـدق و وعـي كبيرين هذه الدراسـة المنهجية و الموضوعية .

.. كيف كانت البداية ؟ و لماذا هذا التواصل ؟ .. كل هذا جاء في قالب بحثي موضوعي عن الإنسان المصري عندما يواجه ظروفاً صعبة و التي برغمها ينفض غبار أحزانه فيبدع أدباً فنياً مقاتلاً يتساوى و يتوازى تماماً مع طلقة المدفع ليكتمل لساحة النضال عنصريها المعنوي و المادي و ينطلق الجمع المعبأ بالوطن إلى مستقبل أفضل و شموخ عزيز أرحب .

.. أقول ، إذا كانت هناك لهذا المرجع التسجيلي الأصيل لبيان حلقة من حلقات ماضينا المضيء ، فإن حاجة اللحظة الراهنة إلى مثل هذه الدراسة تكون أكثر ضرورة و أشد إلحاحاً ، ذلك لأن أمتنا تواجه الآن و من جديد هجمة أخرى أكثر ضراوة و أعمق غوراً من سابقاتها ، الأمر الذي يستوجب منا و فينا أن نعزف على أوتار الماضي القريب كي تتعرف الأجيال على التجارب و الأسوة ليواصلوا المسيرة في زمن يستدعي اليقظة و نخوة الفرسان .

.. إن هذه الدراسة الموضوعية الأصيلة و التي جاءت مواكبة لإحداثيات أخريات مستنبطة للنيل من أحلامنا و حريتنا .

و الشكر له كل الشكر ، أن أتاح لي شرف تقديم هذا الكتاب .

كامل عبد رمضان

مدخل ...

تحتفي فصول هذه الدراسة بإعادة قراءة أوراق تجربة نضالية مصرية عربية متميزة و هي أغنية المقاومة عند " ولاد الأرض " الفرقة النضالية التي تشكلت في الساعات الأولى عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. و ما أبدعته قريحة شاعرها و منشدها الأول الكابتن محمد أحمد غزالي و جموع الشعراء و الأدباء بمدينة السويس من أغنيات رافضة و ثورية ..

يقول الأديب محمد الراوي عن الكابتن غزالي أنه نموذج للمثقف الثوري الذي خلع عنه قميصه الحرير و ارتدى السترة الخشنة حيث أسرع إلى إنشاء فرقته التي شكلت مؤسسة بذاتها . (١)

(اتخذت " ولاد الأرض " منذ قيامها الخندق النضالي شعاراً و راية و نقطة انطلاق نحو رفض الهزيمة و الصمود و المقاومة ، و عاشت سنوات الاستنزاف بكل مرارتها و تبعات الهزيمة في الموقع النضالي المتقدم عند المدخل الجنوبي لقناة السويس ، و عاشت قسوة اللحظات الموات فيما تبقى من عام ٦٧ و على امتداد عام ١٩٦٨ و شهدت كذلك دقائق و ساعات الخروج من عنق الزجاجة و عودة الروح إلى الجسد المثخن بالجراح و آلام الهزيمة الفاجعة .

و على أنغام أغنياتها الحماسية تحركت طلائع المجموعات الفدائية نحو الشرق في أول تعامل مع العدو الإسرائيلي شرق القناة و الذي استهدف رفع الروح المعنوية لأفراد الجيش المصري و

مجموعـات المقاومـة الشـعبية أولا قـبل أن يكـون رسـالة واضـحة بـأن الإرادة الحيّة لا تموت .

و قـد ارتـدت " ولاد الأرض " مـنذ الانطلاقـة و لحظـة الـتجمع الأولى الملابـس العسـكرية " الكـاكى " و حملـت السـلاح مشـاركة في أعمـال المقاومـة طـوال فـترة الـنهار و خـلال سـاعات القصـف الـذي كانـت تـتعرض لـه المديـنة عـلى نحـو متواصـل ، حيـث تعـود إلى الـتجمع في الخـندق النضـالي في المسـاء و يـبدأ أفـرادها في المشـاركة في الغـناء الـثوري الحماسـي الـذي يهـز الأسمـاع و يحـرك المشـاعر معلـنةً في ذلـك كلـه عـن اختـياراتها في ضـرورة " الـثأر " و انـه لا بديـل عـن المعـركة و أن مشـوار الألـف مـيل يـبدأ بخطـوة .. واثقـة مـن قـدرات و طاقـات هـذا الشـعب .. تسـتند إلى تـراثه الفـني العظـيم و إمكاناتـه العـبقرية الـتي عـرفها في حركته النضالية و الفكرية في التاريخ المصري القديم و المعاصر .

و شـهدت " ولاد الأرض " كذلـك فـترات الـلا سـلم و الـلا حـرب عـلى الجـبهة و كـان لهـا رأيهـا الواضـح و الجلـي خـلال هـذه الفترة و إلى أن تم تحقـيق نصـر أكـتوبر العظـيم و الـذي كـان مـبلغ غايـة الأمـة و أكـبر آمالهـا ، كمـا كـان بالنسـبة للفـرقة المناضـلة هدفـاً اسـتراتيجياً و أمنـية خالصـة لأفـرادها في أن يشـاركوا في صـناعة هـذا النصـر .. هكـذا كانـت المعاني و الكلمات تتردد في أغنيات ولاد الأرض ،

و نجيب النصر
هدية لمصر
و تحكى الدنيا علينا

إن اسـتعادة دراسـة مـثل هـذه الإبداعـات سـوف تـثير و لا شـك العديـد مـن الأسـئلة حـول مـدى الحاجـة إلى العـودة إلى مـثل هـذه الـتجارب النضـالية رغـم مـرور أكـثر مـن خمـس و ثلاثـين عامـاً عـلى نكسـة يونـيو ٦٧ و كذلـك مـرور ثلاثـين عامـاً عـلى تحقـيق نصـر أكـتوبر

العظيم ..و مدى أهمية مثل هذه التجارب الآن .. و خصوصاً بعد أن دخلنا مرحلة أو مراحل مغايرة تماماً لما كانت عليه الأوضاع السياسية و الاقتصادية في مصر و دول العالم طوال هذه السنوات و حتى أكتوبر .

و على الرغم من بساطة الإجابة إلا أنني أود أن أذكر أولاً بعض المبررات و الدوافع الذاتية أو التي تبدو للوهلة الأولى أنها ذاتية تلك التي شجعتني على المضي في دراسة هذه التجربة المناضلة و استذكار تجاربها من جديد .. و هي التي ضربت لنا المثل و قدمت الدروس العظيمة في المقاومة و الرفض الشعبي المصري " المبكّر الأوّل و المبدئي " للهزيمة و الانكسار .

و لعل أهم هذه الدوافع ما نلمسه نحن أبناء مدينة السويس من تلاحم يومي و حميمي مع ذاكرة ولاد الأرض و إبداعاتها من بين الذين عاشوا التجربة و عاصروها أو من الأجيال الشابة على وجه الخصوص و هو الأمر الذي يحمل المثقف و المبدع و الباحث أمانة المحافظة على تراث هذه التجربة التي لا تزال ماثلة و حية في الذاكرة الشعبية المصرية و العربية .. و كذلك تلك المُثل المتجددة التي يؤكد عليها الكابتن غزالي في دأبه اليومي ، و إصراره العالي على أهمية دور المثقف و المبدع و الفنان في التعبير عن قضايا الناس و التعايش معهم و أن هؤلاء البسطاء الذين تزعم " النخبة المثقفة " أنها تملك وعياً أكثر منهم ، هم أول من تدافع إلى تلبية نداء المقاومة و الصمود و تشجيعه الدائم لكل من حوله على ضرورة التواصل مع هذه التجارب الشعبية المناضلة و الإنسانية و إعادة استلهامها بل الاعتزاز بالانتماء إليها

لقد قُدر لي أن أقضي الكثير من الوقت و على مدار سنوات طويلة إلى جانب الكابتن في محاولة لتسجيل يوميات هذه التجربة

النضالية و تذكُر اللحظات العصيبة في سير القتال على الجبهة وقتها و تلمس مشاعر و أحاسيس الترمومتر الشعبي اليومي المتمثل في ذاكرة ولاد الأرض و أتاح لي هذا التواصل مع إبداعات هذه التجربة قدراً كبيراً من الإلمام بنتاجها و الظروف و السياقات التي جاءت فيها مما شجعني أيضاً على الاستمرار و مواصلة البحث و الدراسة (٢) .

و هناك أيضاً سباق وطني مشرف و رائع بين أبناء المدينة و عدد من المثقفين و المبدعين في مصر على تدارس تاريخ و نضال مدن القناة _ السويس و الإسماعيلية و بور سعيد) و إعادة استلهام هذه التجارب الرائعة في مجموعة من الإصدارات و الكتب المتميزة و يقف على رأس هذا الهرم الكاتب و الصحفي السويسي حسين العشى الذي كان له السبق في التعرف على أهمية هذه التجارب النضالية و سجلها في كتابين (معركة كفر أحمد عبده ١٩٥١ ، و خفايا حصار السويس) (٣) ، كما أصدر العشى أول مجموعة لأغاني ولاد الأرض عن صحيفة الوعي التي كانت تصدرها محافظة السويس خلال فترة حرب الاستنزاف من القاهرة بالإضافة إلى إبداعات مجموعة كبيرة من الباحثين و الأدباء و الفنانين سوف نتعرض لذكرهم خلال فصول الدراسة .

و أعتقد أن أهمية العودة إلى هذه التجربة الشعبية المصرية العربية المتميزة بعيداً عن دوافعها الذاتية أو تلك المشاعر الخاصة التي يحملها أبناء مدن القناة لأيام و تواريخ هذه المنطقة في الذاكرة المعاصرة و كفاحها المتواصل ضد المستعمر على خط القناة قبالة الشرق ، فإن هذه الأهمية قد تحولت الآن إلى ضرورة وطنية نحن أحوج ما نكون إليها في ظل هذه الظروف التي تعيشها المنطقة العربية و المأزق التاريخي الذي دخلته العملية السلمية و تعالى بعض الأصوات النشاز

التي تدعو إلى نسيان الماضي و إلقاء تجاربنا النضالية و الوطنية خلف ظهورنا أو إلى البحر إذا أمكن !!

و الحمد لله أن هذه الأصوات ظلت قليلة و بائسة في ظل " هبّة " وطنية عارمة بين جموع الأدباء و المثقفين و الفنانين الذين راحوا يرفضون " التطبيع " مع العدو الصهيوني و يدافعون عن الثقافة الوطنية و العربية .

و يؤكد المفكر العربي د. إدوارد سعيد في كتابه _ غزة – أريحا – سلام أمريكي » في طبعته العربية و التي قدم لها الأستاذ محمد حسنين هيكل على أهمية المحافظة على تراثنا النضالي و الوطني و عدم التفريط في مثل هذه التجارب الإنسانية ، يقول : علينا و بإلحاح أن نعيد ربط سنوات التضحية و الكفاح بحاضرنا و مستقبلنا فليس مقبولا أن نلقى بهذه السنوات عرض البحر أو أن نتعامل معها و كأنها لم تكن ، فالأفكار و المُثل هي التي تقود مسيرة أي مجتمع نحو التقدم و لهذا فإنه من غير المقبول أن نقنع بالقبول أننا نحيا في ظل نظام عالمي جديد ، يقتضي منا التعامل الواقعي و البراجماتي و التخلي عن منطلقات الوطنية و التحرر (٤) .

أما الدكتور محمد رجب النجار أستاذ الأدب الشعبي في جامعة الكويت و الحاصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٦ فيقول أن هذه التجارب النضالية الشعبية تؤكد على شيئين ، أولاً : أن روح الشعوب لا تموت و ثانياً أن الشعوب لا تعترف بالاستسلام و الهزيمة و خاصة على مستوى الإبداع الشعبي .. (و يؤكد الدكتور النجار على استحالة أن نجد نصاً شعبياً يعترف بالهزيمة بل يقوم على إحالتها و تجاوزها إلى وقائع يعيد صياغتها مؤكداً أن روح الشعوب لا تموت مهما كانت قوى القهر و العدوان و أن تأكيد

الحقيقة يبرر فكرياً الحفاظ على هذه الروح و تسجيل إبداعاتها الشعبية الرافضة و المقاومة في آن واحد) .

و يتساءل الدكتور النجار و إلا فلماذا نجحت أغاني سيد درويش و أشعار بيرم التونسي و حفرت لها مكاناً في الذاكرة الجماعية .. و الإجابة ببساطة لأنها انحازت إلى جانب الشعب و قضاياه و يؤكد أن الجانب المشرق في تاريخنا هو ما قام به الشعب ، و مثال ذلك مقاومة الشعب المصري للحملة الفرنسية في الوقت الذي هرب فيه المماليك و الحكام و التجار و معظم العلماء [٥] !!!

و لعل سر بقاء تجربة ولاد الأرض و ماثلة في الذاكرة الشعبية يعود إلى أنها كانت الشرارة الأولى التي انطلقت في استجابة سريعة عقب الهزيمة لصوت الزعيم الراحل جمال عبد الناصر و الذي أعلن رفض الهزيمة و تأكيداته الواضحة أن إرادة الشعوب لا تقهر فضلا عن انطلاقة الفرقة التي جاءت من موقع متقدم في المواجهة مع العدو مباشرة و يتعرض بشكل يومي للقصف الإسرائيلي المباشر . و اختياراتها العبقرية للموقف من حتمية المعركة و شكل و ملامح النصر الذي ترغب في تحقيقه .. و السلام المرتقب و موقفها منه فيما بعد و تحولها إلى بيان شعبي يومي يرفع إلى القائد صوت الشعب ، و كذلك انضمام معظم أعضائها إلى المقاومة الشعبية و حملهم السلاح للدفاع عن المدينة و امتزاج الكلمة و البندقية في صوت المقاومة مما أعطى التجربة الكثير من المصداقية و زادتها الكلمات الحماسية و البسيطة و العبقرية حماساً و روعة مما سهل من مهمة انتشارها و ذيوع أسمها و صوتها ..

لقد تحولت هذه الحلقة النضالية التي شكلتها ولاد الأرض في وسط الخندق النضالي في السويس و اتحدت فيها الأكف الملتهبة بالتصفيق و الحماس و إيقاعات آلة السمسمية البسيطة الساحرة و

الكلمة التي صاغها الكابتن غزالي و الشعراء المبدعون في السويس بروح شعبية خالصة تميزت بسهولة التراكيب و الإيقاعات .. و صاغت كما يؤكد الشاعر كامل عيد :

" لأ ...

ما ماتتش الأرض

ما غابتش الشمس

و أحلام المجد —

مش راح أحلم غير بالمجد

ببلدنا أمات عناقيد في السد "

إن ولاد الأرض هي أول صوت مصري مقاوم يرفض الهزيمة و الانكسار و يؤكد في الوقت ذاته على قدرات الوطن و إمكاناته على الصمود و التحدي و إحياء كل القيم النضالية العظيمة للشعب المصري .

لقد أعطى هذا الصوت الشعبي المنطلق من السويس كما حصان اللهب .. و هو الوصف الذي أطلقه الشاعر محمد يوسف على أغنيات ولاد الأرض ..

(انعشنا

متنا أو عشنا

بالغنية المجموعة

بالأغنية الممنوعة) (٦)

هكذا كان يرى الحاجة إلى هذا الغناء .. مهما كان الثمن و كان لالتفاف جموع المثقفين و الأدباء في مصر حول ولاد الأرض و هذه الفرقة الوليدة وقتها الأثر البالغ في إثراء التجربة و مدها بأسباب القوة و النجاح و لفت انتباهها كذلك إلى عيون التراث المصري و العربي و الإنساني و ضرورة إثراء أغنياتها بهذه المفاهيم كما انتشرت

الفرق الصديقة للفرقة الأم في معظم المحافظات و انتشرت الفرق المماثلة في مدن القناة الأخرى في بور سعيد و الإسماعيلية .

و احتفت بعض وسائل الإعلام و في مقدمتها إذاعة الشعب بالتجربة و فتحت أبوابها أمام هذا الصوت الشعبي المتفرد في خصوصيته و خطابه (على الرغم من تباين وجهات النظر بين الفرقة و الإعلام الرسمي في وقتها) و إصرار الفرقة على تميزها و استقلاليتها و كانت هناك أدواراً واضحة لكل من الأستاذ حامد محمود محافظ السويس في وقتها و الإذاعي الراحل المرحوم الأستاذ محمد عروق – أبن مدينة السويس و مدير إذاعة صوت العرب الأسبق و كثير من الأسماء التي آثر أصحابها أن يبقوا بعيدين عن دائرة الضوء و دون أن يعني أن هذه الأدوار المساعدة و المحفزة و المشجعة قد أثرت على مواقف الفرقة و أملت عليها أية أراء مسبقة تخالف قناعتها النضالية و الفكرية حيث خلص الجميع إلى الاتفاق على أهمية هذه التجربة و تميّز ولاد الأرض بحس نضالي و وطني رائع لا بديل عن مساندته و تحضيره و تمكينه من مواصلة مشواره و لا تزال الصحف القومية و المعارضة و الصفحات الأدبية المتخصصة تواصل تذكر نضالات هذه أعضاء الفرقة الوطنية و تعود بين الوقت و الآخر إلى إلقاء الضوء على مسيرتها و نضالها لا سيما في احتفالات أكتوبر من كل عام على الرغم من موسمية هذا التذكر و هذه الإطلالة.

و حافظ الأديب المبدع جمال الغيطاني على علاقته المتميزة مع فرقة ولاد الأرض منذ أن تعرف على قائدها و شاعرها الكابتن غزالي خلال سنوات الاستنزاف ، و من خلال عمله كمراسل حربي لصحيفة الأخبار على الجبهة ، و لا يزال يواصل هذا التواصل الحميم من خلال صحيفة " أخبار الأدب " التي يتولى رئاسة تحريرها و يعمل على تذكير الشاعر المصري بإبداعات هذه الفرقة و

رسالتها و دورها في زمن الشدة و تلك المضامين و الرؤى و الأفكار التي قدمتها خلال هذه الفترة [٧] .

و خصص مؤتمر أدباء الأقاليم دورته الحادية عشرة التي أقيمت على أرض السويس في عام ١٩٩٦ لمناقشة ثقافة المقاومة تكريماً للمدينة المناضلة ، و شارك فيه عدد كبير من المثقفين و الأدباء كما صدرت مجموعة من الكتب ضمت البحوث التي تقدم بها عدد من النقاد و الباحثين إلى المؤتمر عن ثقافة المقاومة ، إلى جانب الدور الفعال و الذي قام به رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة السابق حسين مهران و الذي وافق على إصدار ديوان الكابتن غزالي و هو الديوان الذي ضم أغنيات ولاد الأرض في طبعة جديدة [٨] .

و من أبرز الشواهد الحية على صدق هذه التجربة الوطنية الخالصة هو بقاء كثير من أغنيات الفرقة ماثلة في أذهان الشعب المصري و كذلك عدد كبير من المثقفين و المهتمين ممن تابعوا هذه الفرقة .

و مما رواه الكابتن غزالي خلال اللقاءات العديدة التي جمعتني معه عن إعجاب الشاعر الراحل أمل دنقل بأغنيات ولاد الأرض لا سيما هذا المقطع العبقري من أغنية " فات الكتير يا بلدنا"

و عضم اخواتنا
نلموا نلموا
نسنوا نسنوا
و نعمل منه مدافع
و ندافع ....

و يستعيد الكابتن كيف كان الراحل أمل دنقل يقطع شارع أحمد شوقي الذي يقع فيه مرسم الكابتن و بجوار الخندق النضالي

الذي شهد مولد الفرقة و ذيوعها و هو يردد و عضم اخواتنا / نلموا نلموا / .. كما كتب أمل قصيدته الرائعة " السويس " خلال هذه الفترة و التي لم يتفق بشأنها المبدعون في السويس حول بعض ما تضمنته القصيدة ..

و ما قالته الفنانة المرحومة نعيمة وصفى خلال إحدى الزيارات الفنية التي كان يقوم بها معظم الفنانين في مصر إلى الجبهة على مسمع من الكابتن غزالي و وصفها للمعاناة التي تشهدها في القاهرة و هي تعلم أن أرض بلادها محتلة و أن أمتها العربية يقهرها عار الهزيمة و تصف بحرقة بالغة " إنني أصحو من نومي مذعورة .. إنني أشعر أنني خائفة و بشدة .. إنني لا أشعر ببعض الهدوء و الراحة سوى في السويس و حين أرى هذه التجارب الوطنية و هي التي تُعلّى صوت الكرامة و العزة على صوت الانكسار "

و من الجدير بالذكر أن الصحفي العربي الكبير الأستاذ نشأت التغلبى كان من أوائل الذين احتفوا بتجربة ولاد الأرض و قال عنهم أنهم صوت حقيقي من وطني الكبير الأمة العربية ..

أما الأستاذ محمود أمين العالم فقد كان له رأى مميز في فرقة ولاد الأرض و بساطة كلماتها و سهولة إيقاعها و يؤكد أن هذه الفرقة استطاعت أن تلخص و تكشف و بوضوح تلك المفاهيم التي أمضى العديد من كبار المثقفين و المفكرين في مصر سنوات طويلة من أجل شرحها و تبسيطها إلى الناس و أن هذه الفرقة كانت اكثر إجادة ..

و هناك شهادة فذة من الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش و الذي زار السويس خلال سنوات الاستنزاف و بصحبته عدد من المثقفين المصريين و العرب بينهم الناقد الكبير رجاء النقاش و الذين حدثوه طويلا عن هذه الفرقة الشعبية المناضلة بالكلمة على

الجبهة .. و عبقرية و تلقائية أغنياتها و انضمام أعضائها إلى أعمال المقاومة الشعبية و كيف استقبلته الفرقة أمام السلم المؤدى إلى باحة الخندق و هي تنشد بقوة ..

أهلا يا درويش
كيف سميح و ايش حاله
و ايش حال عروبتنا
و كيف الأهل تعيش
ف القهرة اللى صابتنا
احنا ولاد الأرض
للنصر غنوتنا
أهلا يا درويش
يا بلبل سهرتنا

و استعادت ذلك الخلاف الفكري الذي دار بين المثقفين العرب على نطاق واسع حول اختيارات سميح القاسم في البقاء داخل الأرض المحتلة و رغبة درويش بمواصلة النضال من خارج رقعة الوطن .. و قالت ولاد الأرض يومها رأيا واضحا في الخلاف و مالت بوضوح إلى اختيارات سميح القاسم .. مما أذهل درويش وجعله يتساءل بصوت عال أمام الجميع موجها حديثه إلى زملائه المثقفين المصريين (كيف قلتم لي أن هذه الفرقة شعبية . إنها فرقة مثقفة تملك وعيا ثوريا و نضاليا عاليا .. إنها أكثر وعيا منا ..) .

و لقد كان لتضامن و تآزر مجموعة من الشعراء و الأدباء الكبار من طليعة المبدعين في مصر مع نضالات ولاد الأرض مثل الأبنودى و فؤاد حداد و فؤاد قاعود و سمير عبد الباقي و سيد حجاب و غيرهم الأثر البالغ في استمرارية مسيرتها و نهجها الوطني المتفرد و صوتها المتميز في تجربة المقاومة في مصر و لعب الشاعر

الكبير عبد الرحمن الأبنودى دوراً بارزاً في هذا المجال حيث أبدى تعاطفاً نادراً مع الفرقة و شاركها الكثير من أنياتها و حفلاتها سواء في السويس أو القاهرة أو المواقع العسكرية و كتب خلال هذه الفترة أغنيته الرائعة (يا بيوت السويس) و التي غناها الفنان محمد حمام كما كتب الأبنودى ديوانه " وجوه على الشط " خلال هذه الفترة و الذي ضم يومياته مع أهالي القطاع الريفي في السويس ، و يعد الأبنودى كذلك واحداً من أعضاء هذه الفرقة و من الذين أثروا نشاطها و فاعليتها ، و كما كتب الكثير من الأغنيات و القصائد ذائعة الصيت خلال هذه الفترة .

و أبدى الشاعر الراحل و المبدع الكبير إمام شعراء العامية فؤاد حداد حرصاً أبوياً بالغاً على نقاء الخط الوطني و النضالي لفرقة ولاد الأرض يقول الكابتن غزالي لقد التقيت الراحل فؤاد و معي ولاد الأرض في حديقة الأزبكية و كنا نستعد للمشاركة في إحدى الحفلات الغنائية حيث طالبني و بشدة أن أحافظ على نقاء الخط الثوري للفرقة و صلابتها و تميُّزها و أن لا نستمع إلى أراء و تنظير النقاد في القاهرة حتى لا يفسدوا على هذه الفرقة صوتها و دعوته المتكررة لي أن أعود بهم إلى السويس حيث مكانهم الحقيقي على الجبهة .

و كانت الفرقة قد شاركت في حفلات أضواء المدينة التي كانت تقام في هذه الفترة و بعض المناسبات الرسمية التي كانت تقام على مسرح الجمهورية و انتقلت إلى الغناء في عدد من الجامعات في القاهرة و الإسكندرية و التجمعات العمالية و الطلابية ..

إن ولاد الأرض و لاشك هي تجربة وطنية مصرية عربية متميزة يمكن أن تقدم لنا الإجابة على السؤال المطروح و بقوة الآن في العالم العربي بل و العديد من دول العالم عن الموقف الواضح و العبقري للشعب المصري من التطبيع مع العدو الإسرائيلي و تلاحم النقابات

الفنية و المهنية و جموع المثقفين و الأدباء و الفنانين حوله و رفضه القاطع لكافة أشكال هذا التطبيع و صوره ، دون أن يكون هذا الموقف نابعاً من توجيهات رسمية و إنما يأتي معبراً عن حقيقة هذا الشعب و صلابة موقفه .

ألم تنطلق هذه الفرقة في يوم (الطامة) لتلعب دور مسحراتي الوطن .. الذي ينادى على أبنائه و يحشد الطاقات و يجند ضهور النائمين و المتقاعسين و المحدقين في الفراغ . لقد استجمعت هذه التجربة كل طاقات الوطن و موروثه الشعبي العظيم في أغنيات عبقرية و بسيطة و واعية لتشكل أول سد حقيقي يقف في وجه الطوفان الذي اجتاح الوطن . لقد كان اسم مدينة السويس في العصر اليوناني (هيرو بوليس) أو مدينة الأبطال .. و هكذا كانت دوما على مر الجيال .. فروح الشعب لا تموت .. روح البطولة و النضال .

المصادر و المراجع

١ محمد الراوي – دراسة عن الحركة الدبية في السويس – كتاب الأدباء (١٣) – هيئة قصور الثقافة ١٩٩٦ .

٢ أكد الكابتن غزالي أن الفرقة بدأت عملها قبل شهر من وقوع الهزيمة في جمع أفراد المقاومة و الغناء .

٣ حسين العشي – خفايا حصار السويس – كتاب الحرية – القاهرة ١٩٩٠ ، معركة كفر أحمد عبده – دار المعارف ١٩٨٩ .

٤ إدوارد سعيد – غزة أريحا سلام أمريكي – الطبعة العربية – دار المستقبل العربي .

٥ محمد رجب النجار – أستاذ الفلكلور العربي جامعة الكويت – من سلسلة حوارات خاصة حول الدب الشعبي و المقاومة .

٦ الشاعر محمد يوسف – المنصورة – له عدد من المجموعات الشعرية .

٧ جمال الغيطاني – له أيضا قصة فيلم - حكايات الغريب – و الذي دار حول فكرة البطل الشعبي و أعطى دوراً كبيراً لفرقة ولاد الأرض .

٨ إصدارات غناوى ولاد الأرض – كتاب التعاون – مقتطفات من الأغاني في كتاب عن شركة (مصر إيران – السويس) و أخيراً ديوان غزالي .

الفصل الثانى
الشعر والمقاومة

قدم الأستاذ الدكتور محمود أمين العالم فى تصديره لكتاب ثقافة المقاومة الذى أصدرته الهيئة العامة لقصور الثقافة عن سلسلة كتابات نقدية فى إطار مؤتمر أدباء الأقاليم والذى عقد فى مدينة السويس مدلولا لغويا لفعل المقاومة وما تعنيه هذه الكلمة فى اللغة العربية مضيفا إليه مدلولا إنسانيا رائعا حيث خلص إلى أن مفهوم المقاومة يمزج بين الفعل الصراعى والقيمة الإنسانية " أن مفهوم المقاومة يتضمن بالضرورة موقف الحق من مواجهة الباطل وموقف العدل والحريات فى مواجهة الشر والظلم والتسلط "

فى الوقت الذى يؤكد فيه الدكتور مجدى أحمد توفيق على أن الكتابة من أفعال الفداء وحين تتخلق الكتابة بالفداء فإنها تحقق شرفها الذى لا يعلقها على مقاومة تاريخية عارضة مآلها إلى زوال [٢] وسواء تم تحديد مفهوم أدب المقاومة وفق أطره المعروفة أو تم إطلاقه إلى فعل الكتابة برمته كما يقول الدكتور توفيق نجد أن هناك اتفاقا على أهمية أن يكون أدب المقاومة (أدبا) فى المقام الأول وأن بقاءه مرهون بما يحمل من قيمة فنية وإبداعية .

لقد واجه شعر المقاومة على وجه التحديد فى التجارب العالمية إشكاليات عدة . لعل أهمها التصاقه بالمناسبة واتهامه بأنه شعر مناسبات يفقد الكثير من قيمته عند زوالها أو انتفائها . فضلا عن اتهامه بالمباشرة والتقريرية والوضوح الذى يفقده الكثير من السمات الفنية أو روح الشعر العالية كما يسميها البعض . . ونجد فى التجارب العالمية . فى أسبانيا على سبيل المثال أن الشاعر " بثينتى الكسندر " لا يضمن أعماله الكاملة تلك الأشعار التى كتبها

فـى سـنوات المقاومـة خـلال الحـرب الأهلـية عـام ١٩٣٦ " تحـت الإلحـاح والـلحظة والدافـع الوطـنى " ويقـوم عـلى رفعهـا اسـتنادا إلى أنهـا قد تكون أعمالا قليلة القيمة [٣] .

هـذا إلى جانـب أن بعـض الـنقاد يـرون فـى أشـعار المقاومـة الكـثير مـن " الـركاكة والهشاشـة " والطـريف أن الأسـتاذ العـالم والـذى يـرد عـلى هـذا الـرأى يـرى أن هـذه الـركاكة قـد تكـون فـى بعـض الأحـيان تعبيرا عما هو قائم فى الواقع بالفعل .

إلا أن اخطـر مـا واجـه الشـعر المقـاوم فـى تجاربـه العالمـية والعربـية مـن بيـنها تلـك الأحكـام الجاهـزة والمسبقة الـتى تـنال مـن مكانـته وتقلـل مـن إمكاناتـه وقدراتـه الفنـية والإبداعـية ، وتعمـل كذلـك عـلى إغفـال جوانـب إبداعـية مهمـة وحـية فـى شـعر المقاومـة فـى العديـد من التجارب العالمـية . فـى الوقـت الـذى نجـد فـيه أن بعـض هـذه الشـعار قـد تبنـت كـتابة إبداعـية جديـدة فـى وقـت يـراها الـبعض الآن أنهـا حداثـية بـل قد تكون متجاوزة أيضا وفقا لهذا المفهوم .

ولا تدعـى هـذه الدراسـة أنهـا تـتولى مهمـة الدفـاع عـن أشـعار المقاومة و رسـالتها ووظيفـتها الفكـرية والنضـالية الـتى هـى أهـم و أرقـى ملـيون مـرة مـن الوظـيفة الجمالـية وبقـدر مـا تسـعى إلى التأكـيد عـلى أهمـية وضـرورة أن يؤخـذ فـى الاعتـبار نـبل مهـام هـذا الشـعر وشـرف تجلـياته وقـف سـياقه الموضـوعى الـذى أنـتج فـيه ودوره الإنسـاني النبـيل وإلقـاء الضـوء كذلـك عـلى المكانـة الـتى احتـلها الشـعر الشـعبى والعـامى والأغنية فى تجارب المقاومة فى العديد من دول العالم .

وسـوف تظـل قضـيه وظـيفة الأدب والفـن محـل أخـذ ورد بـين العديـد مـن المـدارس الإبداعـية والـنقدية ولسـنوات طويـلة قادمـة عـلى الـرغم مـن أن المـدارس الإبداعـية الحديـثة والمعاصـرة أخـذت تصـدر أحكامـا قاطعـه بـأن مسـألة وجـود وظـيفة للفـن أو الأدب قـد انتهـت وأنهـا أصـبحت

"شبه محسومة" ولا رجعه عنها وأنه لا يوجد أي دور في الوقت الراهن وبين شعراء التسعينات على وجه التحديد للشاعر النبوءة أو شاعر الأرض أو الوطن .

وتعترف المدارس والاتجاهات الحديثة والجديدة في الشعر بدور الشعر أو النصوص " التى تحاول أن تنتج سديما أو ضبابا يمارس عليه القارىء نشاطه التأويلى " [4]

هكذا يقطعون " أي والله " بأنه لا دور للأدب والفن في الحياة حتى في أوقات الحلكة أو عندما ينقسم ظهر الوطن وتضيع الأرض والكرامة ..

وترى هذه المدارس الجديدة أن الشعر المقاوم والمنتمى مجرد مجموعة دروس معلبة من دروس الإنشاء في مدارسنا القديمة ، وتصف إحدى الجماعات الأدبية الشاعر المبدع المرحوم أمل دنقل بأنه شاعر جاهلى لا لشئ سوى أنه يكتب الشعر الحر - الذى اصبح قديما بالقياس إلى شعر التفعيلة- وارتأوا أنها كتابة تعود به إلى مصاف الشعراء الجاهلين ! !

وحول المدارس النقدية الحديثة في الشعر والأدب تقول الدكتورة سعاد عبد الوهاب فى دراستها عن القومية مدخل إلى علم القراءة في شعر الأخطل الصغير " أنها تأتى مرة تحت مسمى البنيوية أو ضدها التفكيكية " أو الاقتصار على تحليل النص تحليلا لغويا تحت مسمى الأسلوبية أو الألسنية أو من ناحية الرمز والدلالة السيميائيه [5] .

ولعل الاتهامات التى ذكرناها والتى توجهها المدارس النقدية الحديثة إلى أشعار المقاومة هى المنطلقات ذاتها التى أستند إليها "أدونيس" في اتهام شعر المقاومة الفلسطينية. فمثلا في أشعار محمود درويش و سميح القاسم ومعين بسيسو وآخرين بأنه

استغراق فى الهم الوطنى ومجرد ترديد وصدى لما يحدث فى الواقع وهو قول لا يقف عند شعر المقاومة سواء أكان مصريا أو فلسطينيا أو ليبيا. بل يصل إلى جزء كبير من الشعر العربى المعاصر ، حيث يرى أدونيس فى كتاباته النقدية التى سطرها فى صحفية الحياة مؤخرا .. " أن الشعر العربى محتل ومحاصر من السياسة والدين والأخلاق والقيم الاجتماعية " .

و يرى أدونيس أيضا " أن الكتابة الجديدة نضال دائب مرير لطرد المحتل وإعادة الشعر العربى إلى وطنه الأصلي — الحرية — والمخيلة — وما لا ينتهى "[٦] .

وعليه يمكن معرفة رؤى أدونيس الذى قاد الانطلاقة المعاصرة فى شعر الحداثة فيما يتعلق بشعر المقاومة ورفض استنطاق الروح الذابلة فى محنة الاحتلال والهزيمة وخصوصا أنه لا يقصر هذه الآراء الحادة والتى تحاول هدم القديم كله على الشعر المقاوم كما قلنا ويختصره فى شكل محدد من الكتابة الشعرية الجديدة والتى يراها "الأجمل والأكمل والأكثر تأثير" [٧] .

وفى هذا الفصل من الدراسة والذى آثرنا أن نلقى الضوء فيه أولا على آراء وتصورات بعض النقاد حول الكلمة المقاتلة أو الشعر المقاوم فى العديد من التجارب العالمية سنحاول التعرف على نقاط الالتقاء والتفاعل بين هذه التجارب وأغنيه فرقة " ولاد الأرض" التى قامت فى مدينه السويس بعد يونيو ٦٧ وكذلك أهم السمات الأساسية فى هذا الشعر الوطنى والثورى والنضالى .

ولعل أهم السمات التى التقت فيما تجربة السويس مع الكثير من التجارب العالمية فى المقاومة هى امتزاج الكلمة والسلاح من خلال المشاركة فى الفعل النضالى وأعمال المقاومة عبر جماعات المقاومة الشعبية التى انتشرت فى العديد من العواصم وبلدان العالم والتى

ذاقت ويلات الحروب والاحتلال حيث يبدأ هؤلاء الأفراد والجماعات فى إحياء قيما نضالية جديدة و تحفيز الهمم وزرع الحماس فى النفوس من أجل الاستعداد للمشاركة فى القتال والذود عن حمى الأوطان والكرامة الإنسانية .

ويأتى دور الشعراء فى طليعة المتجاوبين والملبين لنداء المقاومة حيث يعرفون الخنادق ويشاركون فى إصدار المجاميع الشعرية والمشاركين فى القتال .

لقد كان أول خلاف فكرى حقيقى يثار فى تجربة "ولاد الأرض " فى السويس حول (وكيف تغنى الأصوات المشروخة) وغير المدربة وغير العارفة بأصول الغناء ، واعتقد بعض الشعراء أن الكابتن سوف يجعل منهم " أضحوكة " أمام الناس فى حال إصراره على أن يشارك الشعراء بالغناء (وكان عدد كبير منهم يناصر الرأى القائل أن دورهم الحقيقى يكمن فى الكتابة ويصرخ الشاعر كامل عيد (هل تريد أن نغنى يا كابتن . . هل هذا معقول . .) .

وبعد أيام قلائل يكتشف هؤلاء الشعراء أن - الأصوات المشروخة - قادرة على الغناء ويشارك معظم الشعراء إلى جوار الكابتن فى قيادة فرقة "ولاد الأرض " واكتشف الناس فى السويس أن الشاعر المرحوم عطية عليان يمتلك صوتا جميلا ومعبرا كما استطاع الكابتن أن يعيد اكتشاف ذاته من جديد ويتأكد للكافة معرفته الحقيقية بالتراث الشعبى المصرى حيث راح يعمل على استعادته والاغتراف منه فى أغنيات جديدة للفرقة المناضلة ..

كما التف الجميع حول صوت المناضل السويسى المرحوم "عربى بوف" أو الخال عربى .

وعلى الرغم من حرص "الكابتن" على استقلال فرقته إلا أن ذلك لم يحل دون هذه العلاقة المتينة مع التنظيم السياسى القائم آنذاك

(الاتحاد الاشتراكى) ومحافظ السويس الأستاذ حامد محمود واللذان سهلا من مهمة انتقال الفرقة إلى المحافظات والمشاركة فى الحفلات العامة واللقاءات الجماهيرية .

وساهم العديد من الشعراء من مدينة السويس بكتابة أغنيات وقصائد تفاعلت مع المواقف حيث أصبحت الكلمة المقاتلة هى سيدة الموقف فى المدينة المناضلة . وتعانقت الأغنية مع القصيدة لتشكلان معا وجهي عملة واحدة وأصبح هؤلاء الشعراء جنودا فى كتيبة ولاد الأرض و ركنا أساسيا فيها و من أبرز هؤلاء الشعرا الشاعر الراحل عطية عليان ، والشاعر المبدع كامل عيد رمضان والشاعر عبد العزيز عبد الظاهر وآخرين [٨].

ومع انتشار وذيوع أغنيات " ولاد الأرض " أخذت الإذاعة تستعير منهم كلمات الأغنيات التى ذاعت شهرتها حيث غنت الفنانة فايدة كامل (أغنيه فات الكتير يا بلدنا) والتى كتبها الكابتن غزالى . كما غنى الفنان محمد قنديل أغنية (ياريس البحرية) من كلمات كامل عيد وغنت (المجموعة) أغنية الراحل عطية عليان (أشجع جنود) وكذلك أغنيه فهد بلان (ولا صوت حيعلا فوق جرح قلب النهار) .

ولم تكن القصة القصيرة والرواية أقل انفعالا حيث سارع الأديب المبدع محمد الراوى وهو أحد المؤسسين للحركة الأدبية المعاصرة فى السويس إلى كتابة رائعته " الركض تحت الشمس " حيث عبر عن حالة المدينة فى زمن الحرب والخراب وكذلك روايتيه (عبر الليل نحو النهار ، والرجل والموت) .

كما شارك كل من الأدباء محمد عطا ، على المنجى وآخرين بكتابة أعمال إبداعية متميزة عن مدينة السويس واستحضار التفاصيل اليومية للمدينة الباسلة فقد عايش عطا أحوال المهجرين من

مدن القناة فى رائعته " معسكر ٧ " وفاز المنجى بالجائزة الأولى فى أحد مسابقات القوات المسلحة عن قصته " الموت يضئ المدينة " والتى رصدت محاولة دخول الإسرائيليين للسويس فى أكتوبر ١٩٧٣

وسنجد أن الكثير من الشعر الذى جاء بعد النكسة – فصيحا كان أم عاميا أو شعبيا– قد تلاقى هو الآخر فى العديد من جوانبه مع شعر المقاومة فى العالم سواء فى المحاكمات التى نصبها الشعراء فى محاولة لقراءة ما حدث فى يونيو٦٧ أو دفع باتجاه الخلاص وحمل لواء رؤى مستقبلية تفجر الطاقات إزاء تجاوز المحنة وعبور الهزيمة إلا أننا اقتصرنا فى هذا الجانب على الدور الذى لعبته "ولاد الأرض" كفرقه شعبيه مناضلة جسدت الشعر المقاوم من خلال أغنيه تتعايش مع القصف اليومى الإسرائيلي لمدن القناة وتقدم رؤية شبه يومية يمكن أن نطلق عليها وبحق عملية (رسم قلب) وتجسيد حى وواقعى لنبض الشارع المصرى من خلال هذا الموقع المتقدم ومن داخل الخندق النضالى الذى انطلقت منه المجموعات الفدائيه نحو سيناء فى بداية التعامل مع العدو .

لقد استطاعت الفرقة خلق حالة نضالية وفكرية وإبداعيه وفنية واسعة النطاق وتحولت إلى بقعة ضوء هائلة ونافذة حقيقية على الأمل ومتنفس للذين ضاقت صدورهم فى إمكانية أن تنتصر البلد مره أخرى ! !

لقد تحولت المدينة المناضلة التى كاد أن يعشش فيها الخراب بعد قرار التهجير وإدخال مواطنى مدن محافظات القناة الثلاث السويس ، الإسماعيلية ، بور سعيد إلى داخل القطر المصرى إلى حالة نضالية وفكرية تموج بالحركة والنشاط عوضا عن حالة "السكون الميت " ويضيف الكابتن غزالى هذه الأيام المريرة .. وبالغة الصعوبة

" أننا كنا نريد أن نغنى حتى نطرد الخوف من داخلنا أولا وقبل أي شئ ".

ولم يخل الأمر من ظواهر وإبداعات أتت بها اللحظات العاصفة وخصوصا بعد انتشار أغنيات "ولاد الأرض" في معظم المحافظات في مصر حيث قام العديد من الفنانين الهواة من أبناء المدينة برسم لوحات فنية معبره تسجل يوميات الخندق والفرقة في لحظات الإبداع ، الغناء ، والعلم المصرى الذى يرفرف فوق سيناء وصور الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وعودة الأطفال إلى المدينة من جديد ، أو ورودا مورقة على صعيد جفاف الواقع.

وشهدت الفرقة توافد يومى لأفراد من عامة الشعب أو من بين الجنود المقيمين في داخل المدينة وهم يحملون إليها القصائد والأشعار التى كتبوها تفاعلا مع أغاني ولاد الأرض وإبداعات الشعراء في السويس ، ونجد بعض الفانين التشكيليين راحوا يتعاملون مع ما تبقى من القصف اليومى من شظايا القنابل والدانات الإسرائيلية لتشكل منحوتات رائعة من بقايا هذه الشظايا والدانات والتى تحولت إلى مواد خام أوليه متميزة ، كما عرفت المدينة العديد من الظواهر الجديدة التى خلقتها ظروف الحرب حيث حرص أبناء السويس على دفن من توفى منهم في مواقع التهجير فى المحافظات الأخرى في السويس بما يحمل هذا البعد من اثر نفسى عال وكذلك كانوا يحملون بعض من تراب المدينة على سبيل الهدية إلى الأهالي في داخل القطر المصرى وفى مواقع التهجير ، فصلا عن بعض العبوات الفارغة من الرصاص والقنابل التى تم أبطالها لتوضع كتذكارات من المتهنة المكانة التى اخرجوا منها .

لقد تشكلت في السويس في الواقع هذه الحالة الإبداعية بكل ممارساتها وإفرازاتها .

كما كان للفعل المقاوم فى التجربة أثر واضح فى إعادة تشكيل الوجدان المصرى بعد الهزيمة وليس من قبيل المبالغة أمين تقول أمين تجربه "ولاد الأديب" قد أثرت فى الواقع الإبداعي المصرى لاسيما فى السنوات الأول التى أعقبت الهزيمة فى الفترة من ١٩٧٦ — ١٩٧٠ حيث التفت حولها أعداد غفيرة من الشعراء والفنانين فى مصر كلها والتى واستمدت من رؤى هذه الفرقة وأغنياتها الشعبية أرضيه جديدة للكتابة عن الواقع السياسى والاجتماعى والفكرى فى ذلك الوقت وهناك العديد من الأعمال الفنية والمسلسلات اليومية (إذاعية ، تلفزيونية) والأغنيات التى كانت تذاع فى وقتها بشكل يومى متواصل التى رددت اسم السويس ، بطولاتها وكذلك أعمال المقاومة فى القصيرة فى محافظتي الإسماعيلية . بقاءه كما انتشرت الفرق الصديقة لأولاد الأرض فى العديد من المدن والقوى فى مصر وخصوصا بين تجمعات (المهجرين) من أبناء محافظات القصيرة والتى تفاعلت مع كلماتها وراحت ترددها فى مختلف التجمعات الشعبية .

احنا ولاد الأرض

يقول الدكتور حسن فتح الباب فى إحدى قصائده

"فييتنام كان الجرح يدميها

وكانت . .

لا تكف عن الغناء من لا يغنى لا يقاتل "[١٢]

وفق هذه الشروط التى حددها الشاعر الدكتور حسن فتح الباب فى الكلمات جاءت أشجع وأغنيات ولاد الأديب الشعبية مجسدة ذلك التلاحم الحقيقى بين الكلمة والبندقية لتعلن عن وجودها فى مجموعة من الشعارات التى رفعتها

" احنا ولاد الأرض

ولاد مصر العظيمة
تارنا ح ناخذة بحرب
ولا نرضى الهزيمة"

لقد أكدت الفرقة كذلك على دور الشعر الفاعل والحقيقى فى الظروف الوطنية العصيبة بما يمتلكه الشعراء من رهافة الحس ورقة الشعور والقدرة على التجاوب الوجدانى مع القضايا المصيرية التى تهم الإنسان فى حاضرة و مستقبله

يقول الدكتور محمد الكردى فى بحث له عن أدب المقاومة الفرنسية من خلال الحرب العالمية الثانية " أن الشعراء لم يضنوا عبر المشاكل والممنوعات بصوتهم بل أن إحساس الشعراء بهذا الخطر الذى يتهدد كيان الأمة كلها يكاد يصل إليهم فى درجة من الشفافية الوجدانية الذى يتحد فيها هذا المصير بقضية الشعر نفسه" (١٠)

وعليه يجد الشعراء أنفسهم فى طليعة الصفوف التى تعمل على إذكاء شعلة النضال وأن يعدوا لها من النفوس الطاهرة ومن الضمائر الحية موادا قابلة للاحتراق والفناء فى سبيل الوطن وفى سبيل الحرية وهى مهمة لا تقل عن الفعل الثورى ذاته .

وإذا نظرنا إلى الاستجابة السريعة من الشعب الفرنسى لنداءات القائد العظيم ديجول التى سجل تفاصيلها الكاتب الفرنسى جان جهنيه فى مذكرات " السنوات السود " فى الفترة (١٩٤٠- ١٩٤٤) . وكان صوت الجنرال ديجول مدويا مساء ١٨ يونيو ١٩٤٠ فى راديو لندن وأية فرحة غامرة فى خضم هذه النكبة البشعة يقول :" أنا الجنرال ديجول ... صدقونى .. أنا الذى أحدثكم عن معرفة بالأسباب ، أنا الذى أقول لكم لم يفقد شئ بالنسبة لفرنسا .. نفس الوسائل التى هزمتنا ، يمكنها أن تجلب لنا فى يوم من الأيام

النصر ، أن شعلة المقاومة الفرنسية يجب أن لا تنطفئ " .. وهكذا دخلت حريتنا فى مغامرة جديدة "[11] .

إن هذه الاستجابة الفورية من الشعب الفرنسى للقائد ديجول التقت تمام مع تلك الاستجابة من شباب المقاومة الشعبية فى فرقة " ولاد الأرض " لكلمات الزعيم الراحل الرئيس جمال عبد الناصر فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، ورفضه للهزيمة وأن إرادة الشعوب لا تقهر ، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

وكان على الشعر أن ينطلق عبر هذه الاستجابة به من داخل الخندق معلنا عن صوته وكيانه ورؤاه واختياراته مرددا ...

" هيلا .. هيلا.. هيلا
هنا في السويس تلاقينا
في الخنادق بالبنادق
في كل حته عنينا..."

إلى أن يصل الشاعر الكابتن إلى الكلمة المعبرة والموجزة فى صورة شعرية رقيقة ملخصا هذه الاستجابة لنداء القائد والوطن وصوت الكرامة والحرية .

" أنا صاحى يا مصر
أنا صاحى
سهران وفي حضنى سلاحى
واللى يكسر عزيمتى
واللى يقلل من قيمتى
يحرم عليه صباحى"

وكما التقت كلمات الكابتن غزالى عن المعركة والصمود وشرف الموت فى سبيل الوطن مع تلك الأشعار التى خرجت من فرنسا فى سنوات الحرب ، والكثير من النتاجات التى صدرت فى المجاميع

الشعرية الشهرية " شرف الشعراء ١٩٤٣ و أوربا١٩٤٤ ، وما ذهب إليه بول ايلوار فى رفضه للتأملات الذاتية ، والتلاعبات الشكلية ، ويتأكد ذلك فعلا فى النقاء الكرستالى وشفافية قصائده فى الشعر والحقيقة ١٩٤٢ ووجها لوجه مع الألمان ونجده أيضا فى الحماس الغاضب والنداءات المقاتلة لأشعار أرغوان فى مجاميعه الشعرية "سكينة فى القلب" " وعيون الزا " " والشروق الفرنسى" فى الفترة من ٤١ — ١٩٤٥ كما أن أيلوار له العديد من القصائد الشهيرة منها " الحرية " "وسبع قصائد حب فى الحرب" وفى التجربة الفرنسية ذاتها نجد أن الأناشيد الحماسية التى مزجت بين شعر الغناء الشعبى والموسيقى قد لاقت شهرة واسعة بين صفوف الجماهير وتحولت إلى تجسيد رائع لأحلام الشعب فى الحرية والكرامة

ولعل أهم هذه التجارب " أنشودة الفدائى " لايمانويل دى لافيجريه وهو ضابط بحرى أسس مجموعة باسم " التحرير" خلال فترة المقاومة وأيضا تجربة (نشيد التحرير) لموريس دريون ، وجوزيف كيسيل وقد استعان هؤلاء الشعراء بالموسيقية " أنا مارلى " التى التقوها فى هذه الفترة [١٢] .

(ونجد فى تجربه "ولاد الأرض " التعلق الحميمى بالفدائى والجندى باعتباره الرمز الأسمى للنضال الوطنى ، والبذرة الأولى فى طريق التحرير وهو الذى يحمل روحه فوق كفه فى كل لحظة وكانت أغنيه " الفاتحة للعسكرى " من أولى الأغنيات والتى شدت بها " ولاد الأرض " ..

"الفاتحة للعسكرى
سبع السباع الفللى
واقف وحاضن مدفعه
بطل وحارس موقعه

والفاتحة" ..

وتدور كلمات الأغنية موزعة هذا التعلق ببقية الرتب العسكرية وكأنها تستدعى كل الصفوف للتقدم نحو الفعل الثورى والمخيلة فى التضحية من الباش شاويش (الباش جاويش) إلى الملازم والقائد " ضابط صغير أو رائد وأيضا الفدائى من خلال عروبة الوطن .

الفاتحة لكل فدائى
فلسطينى أهمية عراقى
سورى لبنانى بيلاقى
حتفه فى قدسه وسينائى
الفاتحة .. (١٣)

وشاركت أغنيات ولاد الأرض شعر المقاومة فى موضوعاتها والأفكار الرئيسية العديد من التجارب العالمية فى العمل على خلق قيم جمالية و إبداعات جديدة خاصة بها والتخلى عن الشكلية ، والصور البلاغية والجمالية فى الكتابة ، وإضفاء روح جديدة على الأدب . ونجد أن الأغنية الثورية قد لعبت دورا بارزا فى أدب المقاومة فى الشعر الألبانى ، الشعر الإيطالي حيث توظيف الأهازيج الشعبية للسخرية من العدو " يقول الدكتور ضياء نافع : أمين حركه المقاومة على فى إيطاليا أدت إلى إضفاء روح جديدة على الأدب إذا انفصم عن "الديكادنس" (١٤) وقوانين الشكلية وعاد إلى التعبير الواقعى عن الحياة الشعبية واكتشف بطلا جديدا هو المناضل ضد الفاشية " (١٥) .

ويشير كذلك إلى أن هذا التطور انعكس فى شعر المقاومة على المتعدد الأغراض ابتداء من التقاليد الغنية للفلكلور والأغاني والأهازيج الشعبية المعادية للفاشيه إلى مساهمات كبار الشعراء .

ونجد فى تجربة "ولاد الأرض" أنها استقت كذلك من التراث الشعبى ومن أغنيات "هلا بالورد ..ياياما هلا با" والتى أوردها أحمد رشدى صالح فى كتابه المعروف " فنون الأدب الشعبى " أجمل إغنيات المقاومة حيث على إيقاعاتها و أوزانها جاءت الكلمات الجديدة والرائعة التى تحث" السمسمية " على الغناء بشروطه الجديدة

" غني يا سمسمية
لرصاص البندقية
ولكل أيد قوية
حاضنه زنودها المدافع"

وتدور بقيه الأغنية حول الغناء للجنود ، والمدافع والدارس فى معاهد العلم ولا تنسى السخرية من العدو أو من فعل العدوان والضرب بالمدافع على المدينة فى وحشيته وقسوته ..

"غني ودقي الجلاجل
مطرح ضرب القنابل
راح تطرح سنابل
ويصبح خيرها لية "

فى الوقت الذى كانت فيه الأغنية الأصلية تتحدث عن تفاصيل الجسد التى تشكل الدواء للعاشق المحروم وهى من أغاني الفلاحين فى الدلتا تقول :

" قلت لها ياست اوريني
على قورتك فرجيني
قالت روح يا مسكيني
دى قورتي هلال شعبان
.....ياعيني"

لقد كانت الأغنيات اللاذاعة والساخرة التى ظهرت فى مصر بعد النكسة والتى نالت من صور السلبية والانهزامية ، أهمية من الشهادات العسكرية خالية من الروح الناقدة والمحرضة على المقاومة والثأر والتى حددتها فى تعبيراتها ولاد الأرض حيث عاب بعض النقاد على أغنيه فؤاد نجم التى غناها الشيخ إمام بعد النكسة ..

"الحمد لله خبطنا
تحت بطاطنا ...
يا محلا رجعه ظباطنا ..
من خط النار ...".

أو النكتة المصرية اللاذاعة التى ترددت حينها " أحسن ياوحش" (*) أمام الجندى الذى يريد اللحاق بالأتوبيس وهو يركض خلفه أملا فى الوصول إليه تعبيرا عن تمكن العسكرى المصرى من الهروب من المعركة .. أو أنه قد حصد بطولات الجرى وحدها ..إنها كذلك جاءت فائتة وخالية من أى أمل فى قدرات هذا الشعب على تجاوز المحنة و الهزيمة و المشاركة فى فعل المقاومة والرفض ..

ونجد فى المقابل أن ولاد الأرض التى لم تنس فى أغنياتها السخرية اللاذعة من مرارة الواقع وتبلد المشاعر والأحاسيس لدى البعض تجاه فعل المقاومة الشعبية وأن تواجه تلك السخرية الحادة نحو تحريك المشاعر باتجاه الأحداث اليومية على الجبهة والتفاعل مع حركه المقاومة الشعبية ونالت من المتقاعسين على اختلاف صورهم ومشاربهم فى العديد من الأغنيات

" توت توت خاين توت
ف أول فرصه في يوم النكسة
سابنا وزوغ واحنا نموت

ياخي توت " !!

وكذلك من مظاهر السلبية المتعددة من خلال أغنيات شعبية وتراثية محفورة فى ذاكرة الشارع المصرى على امتداد تاريخه الطويل

"جلا .. جلا ..

فتح عيونك يا ولا

شحط وماشي يعاكس

شعره عامله خنافس

زى الحيوان لا حاسس

ايه اللى بيحصل فى البلد"

ونال كل من الإذاعة والتليفزيون والصحافة وكافة وسائل الإعلام الرسمي نصيبه من هذه السخرية حيث أطلقت الفرق شعارها ...

"مدد يا إذاعة يا تليفزيون

يا صحافه قومى صح النوم

دى المعركة تنطق الأخرس".

لقد كان الشعر حاضرا كذلك فى طليعة الأنواع الأدبية فى تجارب المقاومة فى بلغاريا وبولونيا وتشيكوسلوفكيا على الرغم من الخضوع للرقابة والأوضاع المعقدة القاسية تحت الاحتلال إلا أن هذه النماذج غلبت عليها الروح الوطنية والقتالية والسخرية السياسية أيضا .. كما اتخذت بعض البلدان من حركة الاحتجاج الصامت وعدم نشر أبه نتاجات إبداعية واللجوء الهيئة القومية عن الحكايات الشعبية والأساطير توخيا للحذر من انتقام قوات الاحتلال ، فى حين تعرض الكثير من الشعراء والأدباء للاضطهاد والاعتقال .

وكذلك كان الشعر هو الأكثر راديكالية فى حركة المقاومة فى هنغاريا ونجد طلبة أنتردام فى هولندا يقومون على نشر وتوزيع

مجموعات شعرية تضمنت أعمال مكتوبة بأساليب الأغاني الثورية للقرن الثانى عشر لكنها مليئة بأساليب ومضامين جادة [16]
وفى اليونان كانت قصائد الشعراء تنشر مكتوبة بخط اليد ، أو مطبوعة فى نسخ محدودة وتحولت قصائد عدد من هؤلاء إلى أعمال للمقاومة ..

وعندما تتذكر نضالات القارة السمراء فإننا نفتح بابا واسعا على حركة النضال والكفاح الأفريقى من أجل الحرية والاستقلال والذى شمل معظم دول القارة حيث خرج الشعراء للتغني باسمها وتسجيل كفاحها فى أناشيد حماسية ورائعة وتوقه إلى النور والحرية

ولقد قدمت القارة الأفريقية إبداعات متميزة حملت سماتها وخصوصيتها ولا تقل قيمة عن تفاعل حركة الكفاح والنضال وهناك شواهد وقصائد من أفريقيا السمراء تتغنى بهذه المراحل التاريخية الحاسمة من القارة من أنجولا وأوغندا وموزمبيق والكنغو ، نجد الأمثلة الحية على عمق التجربة النضالية الأفريقية ويقول بيتر موافى فى قصيدته " اللعبة" .

"ابحث عن الحقيقة
أم الحقيقة تبحث عنى
أبحث عن الموت
أم الموت يبحث عنى
أبحث عن المدينة
أم المدينة تبحث عنى " [17] .

وفى موزمبيق نستمع إلى الصوت الذى ينشد للقارة الغامضة ، والعذراء المغتصبة حين يحاول ترتيب الأسئلة .

إلى متى سأبقى وحيدا
أعيش فى البعد وحيدا

وشوارع المدن حبلى بالغرباء
سامحينى يا أمى
إن لم يكن بمقدورى
أن أعيش كذلك للأبد
محروما من اللطف والاخوة
والدفء ..
من لياليك المقمرات ..[١٨]

ويواصل النشيد النشيج إلى الحقيقة التى يدركها صارخا ..

"لا أستطيع "
لا أستطيع أن أجمد

المصادر: -

- أعداد خاصة عن المقاومة فى العالم فى عالم المعرفة الكويتية

الفصل الثالث
اغنية المقاومة

إن أي مدخل نقدي أو قراءة أدبيه تحاول معالجة نصوص وإبداعات فرقة " ولاد الأرض " النضالية التى تشكلت في أعقاب هزيمة يونيو ٦٧ بقيادة الشاعر الكابتن محمد غزالى والذى لم يكن معروفا من قبل بكتابة الشعر أ والتلحين لابد وأن تقف طويلا أمام اللحظة العبقرية التى أفلتت فيها هذه الفرقة من قبضة الحزن واليأس القوية فى هذه الفترة العصيبة و القاسية التى أنكت بتلابيب الأمة العربية فى هذه الفترة الحالكة

لقد استطاعت الفرقة بقيادة شاعرها أن تعلن عن حضورها واختياراتها وصوتها فى انطلاقه قوية وجسوره ومعبرة بشكل حقيقى ورائع عن قيم الشعب المصرى..من خلال شعارات وأغنيات شعبية ترفض الهزيمة واليأس والاستسلام وتعلن كذلك عن تمسكها بضرورة الاستعداد الكامل لمعركة قادمة يكون النصر فيها حليفا لهذه الأمة.
لقد كشف السياسى المعروف فى أوساط المدينة المناضلة بالالتصاق اليومى الحميم مع حركه الجماهير وتبنى رؤاها وأفكارها وتطلعاتها وقيادته لمجموعه كبيرة من مجموعات المقاومة الشعبية التى تشكلت على الفور بعد الهزيمة ، عن ملكاته وقدراته الإبداعية والفنية فى كتابة الغنية الشعبية وتأديتها غناء مع أعضاء الفرقة الذين انضموا إليه بصورة سريعة وفى تجاوب ملحوظ بشكل واضح على قدرة البسطاء أبناء هذا الشعب فى تحمل تبعات المسئولية

والاستعداد للبذل والعطاء من اجل الدفاع من كرامة الوطن وصوت الأرض والعرض .. لقد جاءت " ولاد الأرض " من حيث الأغاني والوات المصاحبة كما يقول المؤرخ والصحفى حسين العشى وأحد أبناء المدينة الذين ساهموا بشكل وافر وحقيقى فى دعم هذه التجربة النضالية المتميزة " إنها نتاج فن السويس القديم المسمى بالحنة ،حيث كانت ليالى الحنة فى السويس من أشهر ليالى الأفراح فى مصر ، والتى يجتمع فيها المهنئون حول مجموعه من الأفراد يرددون الأغاني التى حملتها معها عبر الأيام عن المحب والعاشق والولهان والصلاة على النبى وكانت الأدوات هى آلة السمسمية والطبلة والملقتين المقلوبتين التى تنفرد بها منطقه القناة وكانت هذه الأدوات هى نفس أدوات " ولاد الأرض " كامتداد لتراث عاش مئات السنين على ارض القناة " ولاشك أن البساطة فى التعبير وصدق الانفعال بالمعركة هو الذى فتح الأغاني " ولاد الأرض " قلوب المواطنين وأجهزه الإذاعة والتليفزيون فى وقت كانت فيه أكثر الأغاني المصوغة والرصيد القديم من الأناشيد الوطنية لا تلبى حاجات الجماهير النفسية بعد الهزيمة ولا تترجم كذلك مشاعرها المتوقدة و واقعها الجريح الثائر ، ومن هنا كان تجاوب الجماهير مع " ولاد الأرض "حين تستمع إليها فى الإذاعة أو الحفلات والندوات السياسية ،ومن هنا أيضا انتشر فن " ولاد الأرض " تعبيرا ولحنا وانتشرت الفرق الصديقة فى مختلف المدن والقرى فى مصر ،حتى بلغ عددها ثمانين فرقه ،تردد مع الناس هذه الأغاني بمعانيها الصادقة وإيقاعها الشعبى ، على أنغام السمسمية والطبلة ودقات الأرجل وتصفيق الأيدي ونبض المشاعر و خفقات القلوب ومن الطريف أن نذكر هنا أن مجموعه كبيره من الشعراء قد شاركوا بالغناء فى هذه الفرقة فضلا عن الشاعر الأول فيها وهو الكابتن غزالى

والـذى يتمـتع بصـوت مميز وقـوى ورخـيم أيضـا فقـد شـارك الشـاعر الراحل عطية عليان بالغناء فى الوقت الذى رددت فيه أغنياتها مع الكـورس مجموعـه الشـعراء مـن أبنـاء المدينـة والذيـن شـاركوا الفـرقة أنياتها من بين جموع الشعراء والفنانين فى مصر

لقـد تحولـت الفـرقة الـتى خرجـت مـن رحـم المعـركة ودخـان الحـرائق إلى إذاعـة شـعبية تعلـن يومـيا مـن المدينـة المناضـلة رأيهـا السياسـى والاجتماعى فـى كافـه القضـايا وتعلـق عـلى الأحـداث اليومـية بشكل متواصل ومستمر طوال سنوات الاستنزاف.

وجـاءت انطلاقـة " ولاد الأرض " القويـة الصـادقة والصـريحة والمخلصـة والـتى راحـت تفـتش عـن أسـباب الهـزيمة وتعلـن الشـروط الجديـدة مـن اجـل المعـركة المقبلة ، والـتى طالبـت مـنذ البـداية بـرفض الاستسـلام والحـرب الشـعبية ومشـاركة كـل الـناس .مـن اجـل يـوم الخـلاص " لتحدث زلـزالا حقيقيا فـى الواقـع الأدبي والفنى فـى الفترة الـتى تلت الهـزيمة وذاع صوتها فـى معظـم المـدن والقـرى بطـول وعـرض مصـر وفـى تجمعـات المهـرجين " قسـرا " مـن أبـناء مـنطقه القـناة إلى داخـل المـدن المصـرية حيـث ازداد عـدد الفـرق الصـديقة الـتى تتـلهف لسـماع الجديـدة حـتى يمكـنها أن تحمـل شـرف ترديدها وغـناءها فـى تجمعاتها الأخرى..

وجـد عـدد كـبير مـن الشـعراء والأدبـاء والمـثقفين فـى فـرقة " ولاد الأرض " صـوت نضـالى حقـيقى يخـرج مـن بـين الأنقـاض ومـن تحـت القصـف والضـرب الـذى تقـوم بـه القـوات الإسـرائيلية عـلى مديـنه السـويس ومـن ثـم راح هـؤلاء يحـتفون بهـذا الصـوت القـادم مـن المديـنة المناضـلة ويبدأ التواصـل الحمـيمى بيـنهم وبـين أعضـاء الفـرقة و يـتحلق حولهـا كوكـبة مـن الشـعراء ، عـبد الـرحمن الأبـنودى الـذى عـايش نضـالاتها مـنذ تشـكلها إلى أن ذاعـت شـهرتها أفـاق وكتـب مـع الفـرقة

النضالية فى هذه الفترة أغنية " يا بيوت السويس " التى غناها الفنان محمد حمام ديوانه الشهير " وجوه على الشط " من خلال معايشته اليومية لأبناء القطاع الريفى فى مدينه السويس وساهم وساهم الأبنودى بشكل كبير من خلال مشاركته مع الفرقة فى الحفلات التى تقوم بالغناء فيها والعديد من أشعاره الوطنية ، فى ذيوع وانتشار " ولاد الأرض " كما احتفى بها أشاد بدورها العديد من المثقفين والأدباء والشعراء والفنانين ، ووجد شعراء العامية الكبار فى هذه الفرقة خطأ نضاليا حقيقيا يقوم على خط النار فى مواقع النضال المتقدمة على الجبهة..

ولقد راح عدد من الفنانين من كبار المطربين والمطربات يغنون من نصوص " ولاد الأرض " ومن كلمات شعراء من أبناء المدينة ،حيث غنت الفنانة فايدة كامل " أغنيه ولاد الأرض " فات الكثير " كما غنى" الفنان محمد قنديل " أغنيه الشاعر " كامل عيد " يا ريس البحرية " بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الفنانين والفنانات أذيعت هذه الأغنيات بشكل يومى متواصل طوال فترة حرب الاستنزاف مما ساهم فى ذيوع وانتشار الفرقة..

ولم تكن " ولاد الأرض " تجربة متميزة فريدة وحسب ولكنها شكلت تجربه نضالية عميقة ألقت بآثارها على الواقع الإبداعي والسياسى والاجتماعى وانضم إليها كوكبه الشعراء والفنانين ومن أبناء المدينة كما ألفت حولها من العديد من المدنيين الذين أضطرتهم ظروف العمل إلى الإقامة فى السويس طوال هذه السنوات ، وكان الكثير منهم يرفضون فكرة الخروج من مدينتهم معلنين عن صمودهم واستعدادهم للموت فى سبيل المدينة التى أحبوها وعشقوها وعاشوا وتربو على أرضها ، كما شهدت الفرقة ولادة العديد من الأفكار الإبداعية الأخرى فى فنون الرسم والتشكيل وغيرها من الفنون التى

خرجت لتعلن عن رفض الهزيمة والمشاركة فى فعل المقاومة ، كما كان للمسجد دورا كبيرا فى مدينه السويس فى تحفيز الجنود والأهالى ومدهم بأسباب القوة ، وتشجيع المجموعات الفدائية على العمل والمشاركة فى فعل المقاومة

وانصهرت المدينة بكاملها فى هذه البوتقة التى شكلت هذه الحالة النضالية الجديدة الرائعة التى حملت كذلك قيما نضالية وإبداعيه وفنية مشرفة

لقد مرت " ولاد الأرض " بمرحلتين أساسيتين فى تجربتها النضالية العريضة والتى أسهمت بشكل واضح فى إلهاب الحماس على الجانب الغربى من القناة والذى يجابه قوات العدو ويسعد بكل قوة من اجل النصر القريب .. أولها المرحلة الناصرية . . حيث كانت علاقة " ولاد الأرض " بالزعيم الراحل " جمال عبد الناصر "علاقة حميمة مؤثرة ،علاقة بين القائد والمعلم والجماهير لقد ، أحبته " ولاد الأرض " وتواصلت معه وغنت له الكثير من أغنياتها ورأت فيه الزعيم القادر على إعادة بناء الجيش المصرى من جديد وتطهير الصفوف و راحت تربط آمالها بأحلامه العربية العريضة و الواسعة و وجدت الفرقة فى الرئيس "جمال" والذى كثيرا ما نادته بالأسماء المحببة للجماهير مثل "جمال" " و ناصر" دون أن تنسى أن تقرن أقواله أيضا بكلمه"قالها ناصر حبيبى "تعبيرا عما تكنه هذه الفرقة من حب عميق للقائد .

و لم يكن صعبا على الفرقة أن تتجاوز الخط المسموح به فى أغنياتها الحادة و ا لقويه سواء وهى تنتقد السياسيين الذين أوصلوا البلاد إلى حاله الهزيمة و الانكسار أو تعرية و فضح الشامتين و المتقاعسين عن المشاركة فى فعل المقاومة أو الذين راحوا يغضون

الطرف و يغطون في سبات عميق و كأن الهزيمة لا تعنيهم في شئ .

و اتسمت هذه الفترة التي جاءت في السنوات من يونيو ٦٧ و إلى سبتمبر ١٩٧٠ بالرؤى النضالية التي تنظر وتتطلع إلى الجانب الشرقي من القناة وتهتم بالواقع العسكرى والنضالى على الجبهة .. ولم يكن النضال السياسى الذى تغنى به الأغنية السياسية عادة هو أحد الهموم السياسية فى أغنياتها خصوصا وهى تعمل على صهر الطاقات الفردية فى عمليه الحشد الجماعى للوقوف مجددا فى وجه العدو المحتمل ، إلا أن رحيل " جمال عبد الناصر " قد أدخل الفرقة فى مرحلة جديدة وغريبة إلى حد ما عن توجهاتها ومن ثم شعرت الفرقة بأنها فى حاجة إلى أن تعمل على جبهتين وأن تنشغل بالهم السياسى الناتج عن اختلاف المفاهيم والرؤى النضالية ويتم إبعاد الشاعر الكابتن غزالى "من السويس إلى مدينة بنها حيث تعيش أسرته ، إلا أن عمل الفرقة لم ينقطع وراحت تواصل عملها النضالى والمقاوم وفق هذه الرؤى الجديدة إلى أن جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣والذى وضعت لبناته الأولى هذه الفرقة النضالية من خلال تسلحها بالكلمة المناضلة وتعبيرها عن روح الشعب المصرى بشكل حقيقى وهى تنشد للنصر المقبل الذى ستسطر عليه أسماء أعضاء فرقتها فقط حتى تعرف الأجيال دورها وحقيقتها ووجهها النضالى المبدع الجميل .

" ونجيب النصر
هديه لمصر
نكتب عليه أسامينا "

هكذا ببساطة ودون تقعُّر تعلن الفرقة الشعبية المناضلة إنها فقط تريد أن تحمل شرف المشاركة فى صنع النصر لهذه الأمة وهذا الوطن ..

ولم تكن عبقرية نصوص " ولاد الأرض " فى تمسكها بفعل المقاومة والإعلان عن قيم نضالية جديده وصياغة الواقع السياسي والاجتماعي والتعبير عن روح الشعب المصرى و العربى بكل هذا العمق و هذا التحدى و الإصرار على تخطى الهزيمة بل كان هذا الصوت المناضل على وعى كامل بتراث هذا الشعب العظيم .. و راحت تتواصل معه و تعزف من إبداعاته و تسلط الضوء على فنونه المختلفة سواء الأغاني الشعبية أو الأهازيج و الطقاطيق و أغاني العمل و المربعات و المواويل و العديد و التراث القصصى و كل ألوان الفن الشعبى كما أعادت " ولاد الأرض " الصلة العميقة بينها و بين تراث الشعر العامى فى مصر لاسيما أزجال الشعراء الكبار فى مقدمتهم بيرم التونسى و أشعار العامية المصرية التى أحدثت نقله كبيره فى هذا اللون الشعرى الذى تلاحم مع حركة الجماهير و راح يصوغ رؤاها الاجتماعية و الوطنية على يد فؤاد حداد و صلاح جاهين و الأبنودى و حجاب و قعود و آخرين.

و لم تكن الأغنيات التى حملت الهم الوطنى و الاجتماعى والسياسى عند " سيد درويش " غائبة عن أذهان هذه الفرقة فضلا عن التراث الشعبى المتمثل فى أغنيات السمسمية و تلك الأغنيات التى خرجت بعد العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ و التى سجلت نضالات أبناء بور سعيد فى مجابهة العدوان ولقد حظيت ولاد الأرض باهتمام الكتاب و الصحفيين و وسائل الإعلام و قام على جمع نصوصها الصحفى و المؤرخ السياسى حسين العشى و أحد أبناء المدينة فى كتاب بعنوان " ولاد الأرض " و كتب عنها العديد من كبار الصحفيين و المبدعين ، و احتفى بها الصحفى العربى الكبير " نشأت التغلبى " و أصدرت جريدة التعاون كتابا عن أغاني المقاومة و قدمت لأشعار الفرقة المناضلة و حرصت هيئة قصور الثقافة

فى عهد رئيسها السابق " حسين مهران " على جمع تراث الفرقة الغنى فى ديوان باسم " ديوان غزالى " و عرّفت بالأحداث التى صاحبت ولاد ة أغنيات الفرقة..

كما عمل على دراسة تجربتها الباحث فى التراث الشعبى الشاعر المبدع " مسعود شومان " بمشاركة زميله القاص " قاسم مسعد عليوة " فى دراسة شاملة عن " حس المقاومة "فى النصوص الشعبية فى منطقة القناة...إلا أن أغنيات هذه الفرقة و نضالاتها ووقفاتها الرائعة فى زمن الهزيمة على هذا النحو النضالى و الإنساني الرائع و هى تستلهم التراث الشعبى و النضالى المصرى و العربى و تحتفى بالتجارب النضالية و المقاومة فى معظم بلدان العالم لا تزال فى حاجه إلى الكثير من البحث و الاهتمام و تسليط الضوء على تجربتها . و ما هذه الدراسة سوى سطور قليلة تحاول استكشاف المرتكزات النضالية و الإبداعية عند " ولاد الأرض ".

لقد كان الكابتن على يقين من أهمية دور المثقف فى مواجهة هذه الظروف المصيرية و من ثم جاءت التحولات الوطنية المثقف الثورى الكامل و هو يراهن على تراث الشعب ، و ذاكرة الأمة ، و قد استفاد لا شك من تراث الشعر الشعبى و العامى و الزجل باعتباره الشكل الشعرى الأقدم تاريخيا بما يحفل به من روح ساخرة تتخذ من النقد الاجتماعي أسلوبا ، يلاحق فيها اللحظات الساخنة و القضايا الآنية.

كما استفاد أيضا من تراث الأغنية السياسية و المربعات و العديد و البكائيات و راح يتعامل مع هذه النصوص محققا تلك العلاقة الحميمية بين السياق الفردى و السياق الشعبى و خلق حاله جديده من التداخلات مع هذا التراث الشعبى و المأثور بالإزاحة و الإحلال و التضمين و استعارة دلالات النص التراثى بما يخدم فكرته الجديدة و رؤيته للنص المتحقق و أحيانا ما نجد أنياتها النصوص تتداخل كما يقول الباحث الشعبى " مسعود شومان " لتشمل حياة الكلمات موسيقى النص و شكله و طريقة بنائه و السياقات المتراكبة التى تساهم فى خلقه و تجليات كل عنصر تاريخيا إذ ، تندغم العناصر التى تشارك فى بناء القصيدة مشبعه بظلالها السابقة.

و قد طرحت على الكابتن الرأى الذى وصلت إليه عن الأغنية الشعبية " هلا يا بالورد يا يمّه هلا يا " و التى تتضمن مقاطعها ذات البناء و اللحن فى أغنيه غنى يا سمسمية لرصاص البندقية، لكل أيد قويه ، حاضنه زودها المدافع /
فى الوقت الذى يأتى فيه المقطع الأول من الأغنية التراثية.

فقال ربما أن هذا الأمر يتحقق فى الألحان الشعبية التى كنت احفظها فاكتب أغنيات و أهازيج شعبية بنفس الإيقاعات الراسخة فى بعض الأحيان ، ويضيف لقد كنا نلاحق الأغنيات الموجودة فى الإذاعة حتى الأغنيات العاطفية ، لإدخال رؤيتنا النضالية و أعمالها عليها ، و حتى مقدمة المسلسلات التى كانت تذاع فى الإذاعة وقتها وقد كان الراديو هو الوسيلة الإعلامية إلى الأكثر شهره ، ولم يكن التليفزيون قد عرف الانتشار الذى نراه حاليا و هناك مسلسل تقول مقدمته " أناجى "و قد تحولت إلى أغنيه باسم " أنا ج اا ى " على ذات الإيقاع الذى كان يردد فى المقدمة و كتبت عليه " أنا جاى " يا سينا أنا جاى ،فى محاولة لإحداث عملية التفاعل و التواصل مع كل ما هو واصل إلى أذهان الناس ، إلا أن نصوص " ولاد الأرض " ، جاءت وفق رؤى جديده ، محققه قيما نضالية كنا فى أن الحاجة إلى تحقيقها ، و لم نترك شاردة ولا وارده إلا و تعاملنا معها فى هذه النصوص و التى فاقت " الـ ٥٠٠ أغنيه " .

أحدثت ولاد الأرض ذلك التفاعل بين تراث الأغنية الشعبية فى منطقه القناة و التراث الشعبى فى كافة القرى و المدن المصرية ، و لأنه أيضا جاء إلى السويس مع أسرته ، مثل غيره من أبناء جنوب مصر الذين انتقلوا إلى هذه المدينة الجديدة فى منطقة العلاقة فقد حملوا معهم هذا الفلكلور من " معتقدات و معارف شعبيه ـــ عادات و تقاليد ــ أدب شعبى ــ ثقافة مادية ــ ألعاب شعبيه " .

و ربما تدلنا عناوين " ولاد الأرض " على هذا البعد التراثى ابتداء من " هيلا هيلا " و هى مفردات من أغنيات العمل التى تشجع المشاركة و الانضمام و البدء فى التلاحم ..

كما أنها استخدمت مفردات سهله و بسيطة و طازجة و حاضرة فى أذهان الجماهير حتى أن هذه البساطة قد حازت على إعجاب كبار

المثقفين و قد قال هنا " المفكر / محمود أمين العالم أن " ولاد الأرض " استطاعت تبسيط كثير من المفردات السياسية التى كنا نقوم على شرحها للناس مليا إلا أنها استطاعت أن تتفوق علينا عندما تمكنت من تلخيص كلمات البرجوازى لتصبح " يا حقير يا انتهازى ، و الرأسمالى يا سارق قوت عيالى ، و الانعزالى يا مشككنى فى آمالى "

و عندما تطلب الفاتحة للعسكرى تصفه وصفا شعبيا عبقريا لتقول سبع السباع الفللى " و الفللى " من " الفل " هذا الورد البلدى المعطّر.

و فى الأغنيات الموجودة " و عضم اخواتنا " رفض عدد من الشعراء الكبار فى الأحيان هذه الصورة و حاولوا إقناع الكابتن بتغييرها قبل قيام الفنانة " فايدة كامل " بغنائها على هذا النحو .. الاجتماعي انه قد أصر و بالفعل خرجت الأغنيات و حاز المقطع قبولا واسعا بين الشعراء و الأدباء فى مصر و ظل ذاكره لأنه و مضربا للأمثال مستقل بذاته

" و عضم اخواتنا
نلموا .. نلموا
نسنوا .. نسنوا
و نعمل منه
مدافع
و ندافع "

و لم أكن وحدى الذى حملت السؤال إلى الكابتن عن كيفية بناء هذه الصورة ، فقد سبقنى إلى شعراء كبار فى مقدمتهم الراحل أمل دنقل ، الذى أبدى انحيازا مطلقا إلى هذا التعبير النضالى الجديد .. و لقد نما إلى علمى من بعض الأفكار المطروحة أن بعض جامعى

القمامة فى المدينة كانوا يقومون على جمع العظام من النفايات " لصالح أحد مصانع الغراء ، فى السويس و كانوا — يجمعونها على عربات خشبية يقومون على جرها فى شوارع المدينة و ربما يكون الكابتن قد رأى هذه المشاهد فى فترات سابقه و ظلت الصورة راسخة فى ذهنه الوحيدة أن أعاد إحياءها على هذا النحو النضالى المبدع .. و الصحيح أن الصورة تنتمى إلى الشعر الميدانى و الشعر المقاتل الذى لا يكف عن طلب الوسيلة للنيل من العدو .. حتى و أن كانت عظام الشهداء.

و فى أغنية " هيلا هيلا " يصف الكابتن الشاعر حالته الموجودة و اختياراته الجديدة على الجبهة بقوله " أن صاحى / يا مصر / يا مصر أن صاحى / سهران و فى حضنى سلاحى " كما يتوعد من يحاول التقليل من قيمة فعله و مقاومته أو الذى يقوم على إحباطه بمقاطعة شعبيه صارخة و حادة فى المفهوم الشعبى ..

" اللى يقلل من قيمتى
و اللى يكسر عزيمتى
يحرم عليه صباحى "

هكذا يفهم المقاطعة دون لف أو دوران أو مواربه و يستعيد أهازيج فى " عطشان يا رفاقه " هذا الحضور التراثى للنص فى أذهان الناس ليجعله متسقا مع موقفه النضالى

" عطشان يا رفاقه
للتار من إسرائيل
عطشان و الجرح .. ملّح
م الوقفة فى الهجير
يا عناد غيطاننا.. اطلع
قوم فتش ع السبيل "

إنه يستعيد الحالة ذاتها مع الجرح الذى " ملّح " تناثر فوقه الملح .. من القدم و الترك و الهجر .. بما تحمله من معاناة كاملة ليبدأ دورة فى إيقاظ عناد الغيطان " التراكمية " و سنوات العطاء و النبل و الصبر على الآلام لتبحث عن سبيل . و يصف أهازيج حكايته " الجديدة " القديمة...

" أن راضع غل .. طينها
موالى من .. أنينها
مصر يا ضحكه غلابة
يا عشق الشقيانين "

و تتواصل العاطفية بين السياق الفردى الذى يقوم على صياغة شاعر. الفرقة و السياق الشعبى الحيّ و الراسخ فى أذهان الناس فى " أبوح " و فاكرينك يا سينا و هى بكائية طويلة .. و برهوم يا برهوم الفتى الشعبى الذى طالته الحالة الموجودة (من إلى) ..

" برهوم يا برهوم
يا ابو زيد هلال
تحت التوب تاج صغير
تركب غالى ليه
أي و اللّه .. تركب غالى ليه "

و يصبح على يد الشاعر الشعبى المقاوم

" برهوم يا برهوم
يا بو زيد هلال
قوم صحّى الناس
دى بلدنا عايزانا كلنا
أي و اللّه .. عايزانا كلنا "

و يستعيد كذلك " توته .. توته " الأغنيات الساخنة المعروفة و الأثيرة فى الحكايات الساخنة ليروى عليها معاناته الجديدة و شروطه و تحذيراته

" دى بلدنا كلتها الدودة
ملاقتش اللى يقول حاس "

و حاس تعنى " لا " و إشارة باليد تقف فى طريق الفعل لتمنع وقوعه و أيضا فى لا إله إلا اللـه .. محمد رسول اللـه ..

يا برتقان يا احمر
يا جديد .. طالت الوقفة .. و امتى العيد ..

يعود الشاعر لتحميل النص الشعبى من جديد .. و ينادى على البرتقان .. أو البرتقال ..

يابو قشره فى لون الرمله
يا برتقان كلك فصوص

و فى " تسلم إيديك " و هى أغنية حانية ميزت نصوص " ولاد الأرض " عن غيرها من الكتابات الشعرية التى جاءت فى سنوات الاستنزاف الأولى من رهان قوى فى قدرة الجندى المصرى فى تحقيق النصر .

و أين هذه الكلمات التى تعيد الهاب الحماس و إحياء الشعور بأجمل من تلك الكلمات التى عددها الشاعر فى صور متتابعة ، و متلاحقة

" تسلم ايديك ... يا واد يا دفعة يا عسكرى ...
تسلم عينيك .. يا واد يا دفعة يا عنترى ..
يا بو قلب مصرى
ميت فل .. أصلى
تسلم ايديك .. يا عسكرى "

و يرفض هذا الغناء الذى يأتى خلال ميكروفونات الإذاعة و فى حالة عناق رومانسى كاذب " سواح " يغنى للقمر و يقول للهوى طوحنا و يعهد الشاعر تعديل المسار فى نص رومانسى جديد و يتماشى مع طموحاته النضالية .

" لأ مش ح أغنى للقمر

و مانيش سواح ....

و لا ح اقول للهوى ... طوحنا

طول يا بلدى

مافيكى شبر ... مستباح .

و يحذر الشاعر الشعبى من الانسياق وراء هموم الغرام ولوعة المحبوب و الهجر ... ، و يقاطعه متداخلا معه

" سلام لبلدى ... يا عم ... يا قوال ،

لاهل بلدى اجمل كلام

يتقال ... حسك تغنى ... بالكلام ... إياه ...

طالعه بلدنا بعزمها من قلب قلب الآه " .

و على الإيقاع الحية و الزاخرة بها الأغنية الساخنة ينسج الشاعر المناضل ...

" الفاتحة ... سمعونا

سورة اللى ضيعونا

و باعوا الجيل بحالة

و باريتهم خلصونا "

و أيضا هذه الأهذوجة الشعبية ....

"إحنا لها ..

إحنا لها ..

الحرب إحنا .. قدها

حنخوضها "شعب و جيش سوا "

ويطوع التجارب الموجودة العالمية فى إطار تجربته الموجودة و يختار من الشعارات العالمية مشوار الألف ميل يبدأ بخطوه" مثل صينى " و لأن الأشجار تموت واقفة ، يعلن

إذا كان و لابد نموت

لجل بلدنا تدوق الراحة

قررنا خلاص

قررنا خلاص

قررنا نموت .. واقفين .

و يغترف من ذاكرة التراث مفردات تستثير فى النفوس حس المعرفة و التساؤل ... مثل " جلا جلا " وهى إشارة موحية تعبر عن الحركات المصاحبة لأعمال الحواة و يستخدم أهازيج " شكلو " ؟!

" شكلو .. هاآ .. أو.. شكلو .. لو .. ها اة ..أو .. أو "

و يتواصل فى اللعبة ليقول " صحفنجى .. يا واد

شعرانجى .. يا واد ..

يا مناضل على سنجة عشرة

أن كنتوا نسيتوا ..

إلى جرى هاتو الدفاتر تنقرا "

ويعمل فى هذا المقطع على أحداث هذا الكم من الغرابة والمفارقة وهو يقوم على تعرية و فضح الأخر ، صحفنجى ، بدلا من صحفى ، شعرنجى بدلا من صاحب شعرات ... و مناضل على " سنجة عشرة " بمدلولها الشعبى الواضح ، و يستعيد المثل الشعبى الحاضر دوما ،

"إن كنتم نسيتوا اللى جرا ، هاتوا الدفاتر تنقرا " .

وكذلك يقوم الشاعر فى التواصل مع أعمالها و أشعار ترددت فى هذه الفترة " سنوات من ٦٧-٧٠ " مثل يا كلمتى الحرة دورى ... لفى و زورى .. احكى و قولى و وزعى البسمة بشاير ... لففى الغيط .. و قوليله ... بكره نجيله نحنى نخيله بنصرنا .. داير . وهى المعانى التى ترددت فى أعمالها للشاعر عبد الرحمن الأبنودى و الراحل عبد الرحيم منصور و آخرين

إنه يعيد إلى الأذهان أهازيج أغنية " ليه يا حمام بتنوح ليه فكرتنى بالحبايب " و هو يستعيد ذكرى الأهالي الذين فارقوا المدينة المناضلة فى الوقت الذى تتعدد فيه أشكال التلاحم مع التراث الشعبى فى معظم نصوص" ولاد الأرض " التى جاءت غنية ، و حاضرة بهذا البعد الشعبى الرائع بماله من مدلول و وجود دائم و تفاعل مع حركة الناس اليومية فى مشوار الحياة و عبر تواصل الأجيال و لم تكن نصوص " ولاد الأرض " وحدها التى تقوم على هذا الدور ، فقد كان الفنان الضرير المناضل الراحل " عربى بوف " هو أحد الأصوات الجميلة التى شاركت فى العمل النضالى و الثورى على امتداد سنوات طويلة فى المدينة ، و عاش فيها فترة الحصار بعد أكتوبر ٧٣ و يقوم على تأدية أغنيات كثيرة من أغاني " عبد الله النديم " " و فؤاد حداد " و آخرين لتعيد هذه الملحمة الوطنية بين الماضى و الحاضر ، و تؤكد على تواصل حس المقاومة و النضال عبر الأجيال المختلفة .

و قد آثرت هنا أن اترك هذا النص إلى أخر هذا الجزء من الدراسة حتى يمكن أن نطلع من خلاله على هذا التواصل فى أعمالها " ولاد الأرض " التى جاءت فى سنوات القصف و الضرب مع ذاكرة الشعب .

عينى علينا إحنا .. غلابة

من غير قرايه و لا .. كتابه
باعونا الافنديات ..
و سابونا من غير علام ..
من غير بصاره من غير .. إمام
و كلتنا الإذاعة .. كلتنا
و شربتنا عرق .. و سابتنا
خضرنا سنينها .. شقانا
يادوبك طولنا .. غدانا
عرايا و اقدامنا حافية
و باعونا الافنديات
ياربان السفينة
يادايس ع الدينة ..
ورينا أبه اللى لينا
و خد نن عنينا ..
و سيب صدر الخلايق ..
يفضفض بالمضايق ..
ما راح العمر .. راح
و اشتاقنا .. للبراح
و باعونا الافنديات
ياعينى !!!

بوصلة الوعى السياسى

لقد كانت بوصلة الوعى السياسى هى المحرك الحقيقى للفرقة و الشعراء فى التلاحم مع الجماهير بما للمكان من خصوصية فى العمل السياسى ، برزت فى نتاج شعراء السويس و الأدباء بما تحمل من وعى و إسقاطات إنسانية معبرة.

و يقول الكابتن غزالى أن حيرته الأولى كانت مؤلمة " يعرف شكل ما هو مقبل عليه دون أن يعرف الوسيلة على نحو محدد ".. و اخذ يضرب الأرض عرضا و طولا و يزرع الشوارع القريبة منه ... يفكر بصوت عالى ، يفكر فى صمت ، يفكر مع الآخرين .. لقد كانت الأرض ممهدة أمام السويس لتلعب دورا رئيسيا فى الأحداث بعد الهزيمة و خصوصا أنها لم تكن مدينة صامتة أو ساكنة، بل كانت فاعلة و متفاعلة ، و شعرت بخطورة القرار الذى اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر بإغلاق خليج العقبة ، و أقامت ندوات سياسية عده شارك فيها عدد كبير من المثقفين و الفنانين و الأدباء ، حضرها من القاهرة المرحوم د. محمد أنيس و طاهر عبد الحكيم و الفنانة نعيمة وصفى و محسنه توفيق وعرف الرجل أن الأغنيات المناضلة و المقاومة هى " قدره " و راح يلعب دور الشاعر الشعبى فى أروع حالاته و أعظم تجلياته يقود فرقته فى الغناء ، و يكتب نصوص أغنياتها و يعبر عن هموم وطنه .. له و عنه.

و لم يسعفه فى الأيام الأولى ذلك الملحن الذى لقنه بعض الكلمات و انتظر منه ولادة اللحن ولا فائدة . و كان عليه أن يتركه و هو لا يزال يضرب بعصاه على الكمان .. دون أن يتم اللحن .. و أسرع

الكابتن الوحيدة الجانب الأخر من المدينة المناضلة و في ميدان الأربعين اكبر إحياء السويس و أكثرها ازدحاما بالسكان .

يقترب الكابتن من أحد الأندية الرياضية ليرى مجموعه من الشباب الذين انضموا حديثا في صفوف المقاومة و حمل السلاح و القيام بأعمال الدفاع المدني ، في الوقت الذي لا تنسى فيه أن تروح عن نفسها بالغناء على آلة السمسمية الساحرة لا سيما أن تراث الغناء على السمسمية في منطقة القناة تراث واسع و عريض و ممتد إلى كافة السواحل العربية و الأفريقية.

وما أن أعلن أسامهم عن الفكرة حتى جاء التجاوب و بدأت الانطلاقة ، و جاء الشعار الأمر الذي حدد ملامح و رؤى هذه الفكرة في كلمات محددة وواضحة .

" إحنا ولاد الأرض
ولاد مصر العظيمة
تارنا حناخده بحرب
للنصر غناوينا
شباب ثوار
منسبش التار ،
إحنا ولاد الأرض "

و هكذا حددت الفرقة الإطار الذي تعمل من خلاله بالإضافة إلى الشعار الناري الذي أطلقته "

" قسم المقاومة الشعبية ....
تحرير الأرض العربية ....
علشان سلام البشرية ....
لازم يموت الاستعمار .... "

و كانت هذه الشعارات القصيرة نقطة انطلاق و بداية لتواصل العمل الابداعي و النضالي عند ولاد الأرض و جاءت صرختها القوية التى لاقت صدى كبيرا فى النفوس ...

" مش ح نسلم .. لا
لا .. لا
رأى الشعب صاحب الحق
رأيه قاله عالى .. عالى
يوم ٩ ، ١٠ يونيو
دفع تمنهم غالى "

و ذلك فى إشارة إلى الاستجابة لنداء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر " لا صوت يعلو فوق صوت المعركة " و تعلن عن قرارها النهائى و الاختيار الثورى و النضالى .

يا نعيد مجد الأوطان ..
يا نموت شهداء أبطال ..
مش ح نسلم ..
لا .. لا .. لأ "

و تحاول الفرقة التعريف اكثر بأفكارها و رؤاها و اختياراتها فى أغنية جميلة معبره .. و هى أغنية " هيلا هيلا " و هذا النداء الشعبى الحميم من أغاني العمل الذى يساهم فى الهاب الحماس و يعلن عن تشمير السواعد ، و لكن ماذا تريد الفرقة يكمل هذا المدخل

" هيلا .. هيلا .. ياللا بينا
شباب السويس تلاقينا ..
فى الخنادق ..
بالبنادق ..
على كل شبر عنينا "

و يعلن الشاعر المناضل عن عمله الثورى بوضوح ببساطة و تلقائية .. و قدره على التعبير قل نظيرها فى الأغنيات الساخنة التى تولد فى مثل هذه الظروف .

أن صاحى يا مصر ..
أن صاحى ..
سهران و فى حضنى ..
سلاحى ..
و اللى يقلل من قيمتى
و اللى يكسر عزيمتى
يحرم عليه صباحى "

هكذا و بوضوح يرفض الشاعر العودة إلى ما قبل الإعلان عن رهان النضال و القدرة على الصمود مؤكدا أن أية محاولة للتقليل من قيمة هذا الجهد و أهميته سوف تجابه المصرى .

" يحرم عليه صباحى " ويقسم أيضا فى إنذار إلى الإسرائيلي .. فى الأغنيات ذاتها ..

" اسمع يا اسرئيلى
بحق وطنى ودينى
وثقتى اللى فى زعيمى
ح تشوف من عزمى المر
قالها ابو خالد حبيبى "

وتواصل الفرقة انطلاقها وعدهر أغنياتها وتغنى للعسكرى " سبع السباع الفللى " أن يلهمه الله القدرة على الصمود . وتحاول تحفيز كل الصنوف فتستكمل الدائرة و تواصل الفاتحة للباتشاويش ، و الملازم و القائد و الفدائى " ولعل فات الكثير يا بلادنا " فقد ضمت

أحد المقاطع الموجودة التى أسهمت فى ذيوع وانتشار أعمالها الفرقة بقدر ما حمل من تكثيف فى الحس النضالى المقاوم على الجبهة

" فات الكثير يا بلدنا

ما بقاش الاجتماعي القليل .."

" ولا تنس الأغنيات أن تكون مصر هى الراية وهى محط الأنظار

" إحنا ولادك يا مصر

وعنيك السهرانين

نصرك اصبح هدفنا

واللى يعادينا مين .. "

و يصل إلى ذلك المقطع العبقرى

" وعضم اخواتنا

نلموا .. نلموا

نسنوا .. نسنوا

ونعمل منه

مدافع ...

وندافع ...

ولا تنس أن تحلم بالغد وبالنصر المشرق وبالنصر القريب وهى تتمسك بالتفاؤل وأبواب الأمل المفتوح أمامها وتشهد الله على

" يا رب اشهد .. علينا

مصر يا ضى عنينا

نفديها بكل أرواحنا

نصنع بشبابنا صباحها ".

و تفرح لقيام الجنود بالبدء فى التعامل مع العدو فى أولى التجارب العسكرية و تسجل أعمالها " ولاد الأرض " تلك اللحظات الحاسمة و التى يبرق من بين طياتها الأمل ...

" من عيون .. برج الحمام
بيطل .. مدفعى
طلقاته .. ف موقعى
الحرب اهيه يا ولاد
الحرب اهيه "

أن أغنيات فاكرينك كانت هى المعبر الحقيقى عن التمسك بالأرض وهى من الأرض التى عبرت فى حزن واضح و ألم يعتصر الأفئدة عن ذلك الارتباط الوثيق بهذا الجزء الغالى من الأرض ، و لعل هذه الأغنية أهازيج من اجمل الأرض التى ترد على الاتهامات التى توجه و بشكل متواصل إلى الفن الملتزم و النضالى و تصفه بالتقريرية و الوضوح و المباشرة فهل مثل هذه الصور الشعرية التى تضمنتها هذه الأغنيات يمكن لأى شاعر أن يبدعها على هذا النحو و بهذا السياق " السبكائى " و الفاجع .. و المعبر ، دون أن يعايش تجربة الاحتلال و الضرب و القصف و التدمير ..

" فاكرينك يا سينا
يا قصتنا الحزينة
ولادنا ف حضن
أرضك ...
أماته ...
خليكى حنونة ...

هكذا يعيش الشاعر المأساة مناشدا الأرض الحبيبة أن تكون " حنينه "على رفات شهداء الوطن و يعلن مجددا ثقته فى العودة إلى سيناء الحبيبة مع قوات النصر ، فى تلك الفترة العصيبة من الاستنزاف و بعد يونيو ٦٧ بشهور قلائل ..

" راجعين لك يا سينا

نوفى الدين .. علينا
سامعين صوت رمالك
و هيه بتنادينا ...

و يعلن عن شروط العودة إليها المقرونة و المروية بدم الأعداء " وان السواعد العربية سوف تزرع الشمس على صدرها جنينه إلى هذا الحد كانت نبوءة الشاعر واعدة ، تنم عن ثقته التامة فى الإرادة الساخنة.

" راجعين لك يا سينا
يا قصتنا الحزينة ...
ح نزرع شمس بكره
على صدرك جنينه "

لقد كان هذا الوعى السياسى المتفهم لإبعاد قضية الصراع العربى الإسرائيلي من منطلقاته القومية و العربية هو الذى ساهم و إلى حد كبير في تمايز عبقرية تجربة " ولاد الأرض "عن تلك الفرق الأخرى التى انتشرت فى محافظات العلاقة ... الإسماعيلية و بور سعيد ... و راحت تنشد للوطن و الأرض و المقاومة و التحرير.

فلقد كانت ولاد الأرض و بحق واثقة من قدراتها الإبداعية و الفكرية و الموجودة و راحت تشق طريقها من خلال هذه الثوابت و هى تتابع استعادة القوات المسلحة لقدراتها و إمكاناتها و إعادة بناء قواتها من جديد ، المشاركة أهازيج فى التعليق على الأحداث السياسية السابقة و التى كانت متواصلة بشكل متسارع فى هذه السنوات " و يعمل الفعل الثورى و المقاوم عمليه فى تغيير شكل الواقع الاجتماعى و الإنساني لا سيما بعد أن انطلقت الحناجر تعلن عن صحة الاختيارات و المواقف و القيم الجديدة التى أوجدتها فرقة " ولاد الأرض "و ترصد عدسة الشاعر هذا التحول فى المحيط الاجتماعى و على المستوى الفردى للأشخاص " و هو يعيد الغناء

لبرهوم " الذى لم يكن ليعايش مثل هذه التجربة الموجودة و قد كان غارقا فى ملذاته ، و يعيد الشاعر صياغة النص الشعبى المعروف بهذا الاسم فى منطقة العلاقة .. هذه الإعادة هى إحدى الصفات المتلازمة مع النصوص الساخنة فى تنقلها و مسيرتها حيث يعيد الشاعر الشعبى تطويعها مجددا بالإضافة و الإزاحة و الإحلال مرات أخرى وها هو برهوم الثورى الذى أصقلته تجربة المعركة .. (من أين إلى أين).

برهوم كان حشاش
عنده جوزه نحاس
باعها و جاب رصاص
يحارب عدوه
اى و الله "

ولا ينسى أن يجعل من آلة السمسمية فى فعل المقاومة بشكل حقيقى و فاعل و يرفض حتى أن يكون تواجدها مجرد " اله مصاحبه " لأغاني الفرقة الموجودة ويستحثها على نحو خاص وابداعى فى أن تغنى لرصاص الإيقاعات "

" غنى يا سمسية
لرصاص البندقية
ولكل إليه قوية ..
حاضنه زنودها المدافع "

وتغنى السمسمية لكل الجنود الذين يذكر أسماءهم من بين جملة الجنود المتأهبين على الجبهة .. ويرد على الشاعر احمد فؤاد نجم الذى غنى للبطل الثورى " جيفارا " بعد وفاته و رحيله " فى أغنيته الشهيرة جيفارا مات " ودون أن يرفد مثال جيفارا ولكنه

يصر على أن يكون المثال أيضا مصريا ومن بين هؤلاء الذين تنشد لهم السمسمية ..

" غني للجنود ..

سمير و علي و مسعود

وغباشي لجل يعود

و ف أيده النصر ليه "

ويرسم تفاؤل بهذه الصورة الدقيقة

" غني ودقي الجلاجل

مطرح ضرب القنابل

راح تطرح السنابل

ويصبح خيرها ليه "

إذن لم تكن أعمالها ولاد الأرض ترفا ماديا .. أو شعرا سياحيا والتعبير الأخير للشاعر الأبنودى .. بل كانت نتاج معايشه حقيقية وكاملة للحياة على الجبهة وتطلع واستعداد وتضحية أمل وافر فى تحقيق الانتصار .. ولا تكف الفرقة عن مواصلة الغناء وتوجيه الإنذارات والنداءات للأعداء " إنذار يا امريكانى . والله معاك يا مصر ـــ حاميكى وراعيكى ، وعطشان يا رفاق للتار من إسرائيل ، وتسلم إيديك يا واد يا دفعه يا عسكرى .. ، ويا كلمتى الحرة دورى .. ، واحنا لها ،الحرب .. إحنا قدها ، وإذا كان ولابد نموت ، والعديد من الأرض التى حددت الأبعاد والملامح الفكرية والنضالية للفرقة ..

السخرية ومرارة الوقع

كـان الوقـع الادبـى ثائـراً ويمـور بأحـزن وآلام الهـزيمة حيث انتشـرت القصـائد الـتى تكـيل الصـاع صـاعين لـن اعـتقدو انهـم وراء الهـزيمه القادحة.

ولعـل طـلا لـه سـريعه عـلى القصـائد الـتى خرجـت بعـد يونـيو ٦٧ تعطـى مؤشـرات وابعـاد عمـيقه عـن ا لحالـه الـتى وصلت لهـا الامه٠ فقد كتـب الـراحل أمـل دنقـل قصـيدته الشـهيرة "الـبكاء بـين يـدّى زرقـاء الـيمامه" والـتى ركـز فـيها عـلى الانفصـام القـائم بـين النخـب السياسـية العسـكرية الثقافـية وعـدم الـتحامهم بحـركه الجمـاهير بشـكل حقـيقى وفـاعل واسـتدعى"عـنترة مـن الـتراث العـربى ليسـانده فـى شـرح وفضـح وتعريه الحاله٠

وكتـب المـرحوم نـزار قـبانى قصـيدته "هوامـش عـلى دفـتر النكسـه"والـتىا شـار فـيها بوضـوح الى عمـق المأسـاة(سـقط لمسـرح مـن اركانه ولم يمت بعد المثلون).

وكتـب الشـعر كمـال عمـار قصـيدة بالغـه الشـفافيه اخـتارت الـركون الى قـيم العمـل الشـعرى والابدعـى الفنـيه رغـم دقـه الخطـاب ...وراح يـربط الحالتين وما كان وما هو كائن ويضع الأسئله الحادة والساخنة٠٠٠

"تسألنى ما بال حديقتنا
كفّت هذ العام عن الإثمار
ذلك أن صلينا من غير وضوء
حتى حين سعينا للحج
رحنا نخدع ملاح الزورق
حتى لا نعطيه الدينار"

وفى قصائد محمد ابراهيم أبو سنه نلمح هذا الحد الفاصل بين الحالتين

" لم ينجى سوى
ذهبيا لصوت
وردى الطلعه
الجاسوس"

هكذ كانت الساحة الشعريه والادبيه تعبر بشكل قاس عن الحاله لتى تعيشها الامه وتلقى بالتبعات على القيادات السياسية والعسكريه٠٠ وتحملها مسؤلية الهزيمة٠٠ولعل الأغنيه السياسية كانت أقسى فى حدتها ووقعها عندما اختار الشاعر أحمد فؤاد نجم فى تجربة مع المرحوم الشيخ إمام هذه الأ غنية

" الحمد لله خبطنا
تحت بطاطنا
يا محلا رجعه ضباطنا من خط النار"

هذا بالإضافه إلى ماكينات النكته السياسية التى دارت بسرعة وراحت تطعن فى الجسد الذى اتخنته الجراح٠

وكان "لولاد الارض " نصيب وافر من هذه الاغنيه الساخرة والحارة والمكاشفه أيضا إلا إن "ولاد الإرض"٠٠كانت تنطلق من ارضيه مختلفه ومواقف مغايرة للآخرين من خلال اختيارها البقاء على الجبهه ومعيشتها للقصف والضرب الاسرئيلي اليومى على مدن القناة وعملها فى المقاومه الشعبيه ومعانقتها للسلاح والكلمه كجناحين للمقاومه فى آن واحد ، راحت "ولاد الارض" تلقن الهاربين من المدينه فى اول فرصه فى يوم النكسه الدرس تلو الاخر

تنادى وسائل الاعلام بها باعتبارها الخط الاول الذى يجب أن يتصدى لأبعاد المرحله الجديدة وانطلق شعارها ينادى بالمدد

"مدد يا اذاعه يا تلفزيون
يا صحافه قومى
صحى النوم
دى المعركه تنطّق الاخراس"
يا صحافه قومى
صحي النوم
دى المعركه تنطّق الاخراس"

وتصل نصوص "ولآد الأرض" إلى عمق الذاكرة الشعبية وتستعير من هذه التواشه كل فنون وأشكاله لاسيما (الجرسه) و التجريس والفضيحه التي تقام للسارق في الريف المصري والحاضرة في الذاكرة الشعبيه٠٠ التي لها امتدادات

في منطقه القناه من خلال الاحتفال التي الذي يتم فى بور سعيد و السويس بحرق دميه اللورد اللنبى فى يوم شم النسيم وسط ترديد الجموع لأغنيات تندد بها و هى تكرر مع شخصيات اخرى اتسمت بالصلف والغرور مع المصريين فى اقليم القناة من بين القادة والعسكريين الاجانب ٠٠وفى نصوص تأتى على شاكلة هذا الجرسه ٠٠تنصب "ولاد الارض" الشباك٠٠للنماذج التى تختارها

"هيجل قاله
و ماركس عمه
واينشاين
فين ٠٠مش باين"
وايضا تطول هذا المكافح بالكلام

له صولات
له جولات
مواهب .. جاهزة
وبطولات
ومسرح سيم
خردة قديمه
صحافه على ودنه
ومقالات"

وتخلص الأغنيه فى النهايه ل المعنى الذى فى بطن الشاعر فى تعريه شديدة للموقف ..

"و ضعنا ا حنا..
واندبحنا..
وهم النكسه
ندفع ثمنه..
وهو يفوت
يااخى توت"

وتغنى ل"ابوح" وهو اسم القمر عند الفراعنه.. فى ربط جميل ومعبر مع الاغنيه التراثيه، ياطلع الشجرة، هاتلى معك بقرة.

" أبوح يا ابوح ...
دم البلد مسفوح
يازارع الشجرة
تتطرح وتديهم
ولا تمر فيهم
ياعونا للكفره"

شكلت أغنيات "ولاد الارض" في مجموعة هذة الاستجابة الرائعة لنداء الرئيس جمال عبد الناصر والالتفاف حول أفكاره ومبادئه والايمان المطلق العميق بها الى درجة التوحد.في الوقت الذى لم تغفل فيه نصوص "ولاد الاض" على أن تكون ترمومترا شعبياً وصوتاً وحساً نضاليا يرفع للقائد يوميا الموقف الشعبى من هذة القضايا وهى ايضا من سمات "ولاد الارض" البارزة التى شكلت رؤيتها المختلفه وعمقها وحضورها السياسى والاجتماعى عن الفرق الاخرى التيا نتشر فى مدن القناة وليس لنا ن ننسى هنا الفرق النضاليه التى خرج خلال وبعد العدوان الثلاثى على مصر.. لترفع صوت الكلمه الشعبيه والغناء الشعبى فى هذة الاحداث وتسجل يوميات وفصل النضال الشعبى . كان التلاقى بين "ولا الا ض"والرئيس جمال عبد الناصر حميما وبشكل يومى وكن حافزا فى ذهنيه الفرقه واغنيتاتها واعمالها فى المقاومة باعتباره القئد الذى تلتف حوله الجماهير وكان الغنء لاسم "ناصر"و "وجمال" وحده وابو خالد تعبير عن هذا الحب وهذا التلاقى فيالرؤى والافكار كما كانت النصوص الكثيرة التى ظهرت فيها مفردة جمال عبد الناصر من يونيو ٦٧ وحتى رحيله فى سبتمبر ١٩٧٠ تعبيرا حقيقيا عن هذا الحب والتقدير والانتماء لافكاره الغظيمه .

وعلى الرغم من التنوع والفروق فى الاحداث المخلفه وامام العديد من ا لمواقف فمنذو قرار اغلاق خليجا لعقبه والفرقه تواصل إرسال رسائلها وبرقياتها القصيره الى "الرئيس" وبمفردات شعبيه محببه الى قلوب الجماهير العريضه.. فهم يقررون اتجاه فكرهم ومن يستحق محبتهم .

"بحق و طنى ودينى
وثقتى اللى فى زعيمى
فى قنالى مش ح تمر
ح تشوف من عزمى المر
قالها "ابو خا لد "حبيبي"

فـى شـعار الجمـيل الـذى رددتـه الفـرقه دومـا نـرى تفسـيرات هـذة العلاقـة الحمـيمه بـين القـائد والـناس مـثل هـذة الرسـائل المعـبرة والرقيقة والموحيه ا يضا.

" يا حمام
روح قوام لجمال
بوس خدوده...
قاله جنوده
اشتاقو والله للقتال "

تتواصـل هـذة الـروح فـى العديـد مـن المقـاطع الـتى تضـمنتها اغنـيات "ولاد الارض" عـلى كـثرتها لتـنادى عـلى القـائد بشـكل اكـثر الحاحـا ووضوحا.

" قولها يا ناصر
قولها...
هيه الحرب
هيه الحرب
هيه الحرب بعينها"
قولها يا ناصر
كل الشعب العربى
فى انتظار..
يخوض النار

باسم الارض
واسم العرض
آدن الحرب
سنه و فرض"

هكذا حددت رؤاها المستقبليه مع القائد باتجاه الاستعداد للمعركه المقبله وإعداد القوه من أجل اعاد خوضها دفاعا عن الأرض و" العرض" والعرض فى المفهوم الشعبى يمثل بعدا قويا ساخنا ومن موجبات بذل المال والدم والروح لصونه لاسيما عندما يكون ذلك البعد فى معناه الواسع هو الدفاع عن كرامه هذا الوطن..

أما وفاة جمال ورحيله فقد كانت أكثر اللحظات مأساوية وصعوبة أمام الفرقة وهذه المجموعة المناضلة بالكلمة واللحن، لقد كانت هذه الحظة بالغة الصعوبة وأكثر قسوة على الفرقة والشاعر من فعل الهزيمه ذاته..

يقول الكبتن غزالى لم يكن لدينا ادنى شك فى اننا سنخوض معه المعركه ونحقق النصر على يديه وكنا نرى فيه القائد والرمز والرايه الخفاقه..

"قولوا لأ .. وألف لأ
ناصر ممتش
وعن مبادئه مفيش رجوع "
مات عبد الناصر ..
لثورة باقيه مفيش دموع

إنهم لم يغفلوا الدور الاجتماعى المنوط بالكلمه فى محاربه الجهل والفقر والأمية وجميع جوانب الحياة الاخرى فأثناء الانتخابات للمجالس النيابيه والشعبيه التى جاءت فى فتره الاستنزاف تناشد المواطن الذى تعقد عليه الامال

"علشان اسباب النكسه تزول
قوم ناقش حاسب قول
انت المسئول"

ويدقق الشاعر كثيرا فى قضيه "الاميه" أهميه التعليم و الثقافه فى خلق الارضيه الصحيحه لنهضه الوطن... يعلن حزنه وبكائه أن يبقى العديد منا مغيبا بفعل الأمية وقصور الوعى السياسى والاجتماعى

"عينى علينا .. احنا غلابه
من قرايه ولا كتابه
باعونا الافنديات"

ويوضح الصوره بعمق تفصيلى ا كثر فيقول ايضا فى الاغنيه ذاتها

"وسابونا من غير علام
من غير بصره من غير...امام
و كلتنا الارض كلتن
شربتنا عرقى وسابتنا !!

تقول الناقدة الأدبية المتميزة فوزية مهران .. أنها لا تستطيع أن تتذكر أغنيات ولاد الأرض الى ترثى شهداء السويس وشباب المجموعات الفدائية الذين عبروا القنال فى سنوات الاستنزاف وخاضوا تلك الحرب (السرية) الشجاعة مع العدو .. واقلقت مضجعه وجعلته يعد التفكير ألاف المرات فى نشوة فرحته بالانتصار فى يونيو والنكسة التى حلت بالأمه دون أن أبكى . أنني لااستطيع آن استمع إلى الكابتن غزالي وهو يغنى للشهيد والفدائي دون آن تفر الدمعه من العيون ..

إن هذه الأغنيات سوف تظل جسرا حقيقيا يشدنا ويربطنا بالقيم النضالية التي تفجرت بعد الهزيمه من نفوس الجميع ولم يكن غريبا على "ولاد الأرض" إن أغنيه "الفاتحة للعسكري" من الأغنيات الأولى التي تغنت بها الفرقة لقد كانت البكائيه السويسيه هي ذاتها البكائية الحزينه التي يلوذ الفلاح المصري فوق ضفاف النيل وفى أعماق الريف المصري حتى تخفف عنه أحزانه

و تعيد تسجيلها أيضا مرة أخرى حيث يعيد لها التأكيد على أنه لن ينسى وبقدر ماكان الحماس في الشباب الوطني الذي بدأ يشارك في الفعل المناضل والعمل الفدائي والإقبال على الموت.. والتضحيه بشكل بطولي جسور ، كانت المرثية تحمل أيضا هذا العمق والبعد الإنساني الكبير..

وتودع ولاد الأرض واحد ا من أجمل وأروع شهداء السويس وهو الفد ائى مصطفى ابو هاشم ، احد الذين قادوا العمل الفدائى فى المدينة. وتأتى "العدودة"

"جرى ايه ياموت

جرى ايه
انته عميت والا ايه
وصى ياموت لحده عليه
ولا يغلى عليكى يابلدنا
عمرنا واللاما صابنا
دا مصطفى عريس
عريس٠٠ وسابنا
ومات شهيد حلال عليه"

وينادى الشاعر على طوابير الشهداء ويعيد أسماءهم فى أغنياته

" سلطان...
يوسف .. حسين
يا نجمتين ضى .. من قلب السويس
يا فرج ياعويس
ياكل الشهدا يا ولاد بلدى
يا ناقشين سعاتى بدمكم
أكمنكم اصدق
واشرف مننا"

هكذا كان البكاء مدخلا لـلإ صرار والنصر رفض للبكاء المثبط للهمة والاستعداد ومواصله الحرب

عروبة المعركه

لقد اهتم الكاتب الصحفى الكبير "نشأت التغلبى" منذو وقت مبكر فى كتابته عن "ولاد الارض" انه فرقه عربيه من مدينه السويس تعرف و ترى وتدرك ابعاد المعركه ومفاهيم ذلك الصراع القائم:

"شباب من وطنى الكبير من رقعه صغيره فى هذا الوطن تحولت فجأه الى ينابيع من نور.

رأوا الزحف الى القتال..

ورأوا العوده الحزينه..

ورأوا القوه تبنى من جديد.

يصف فرحته كذلك بظهور هذا العمق العربى فى اغنياتهم.

"وعندما قرأتهم.. تراءت لى الصورة التى عاشت طويلا فى آمالى ... صورة الشعب المحارب ، صورة الامه المحاربه ، الامه الواحده المحاربه"

"يايلا يا شعب العروبه

قوم

ثور

وافرض كلمتك

إنه يرى فى اغنيات "ولاد الارض " فاتحه لمرحله جديده فى نضال امتنا.. جهد الاعداء فى دفن ثرواتها فشل الاعداء وانتصر "ولاد الارض"...

وقد جسد "ولاد الارض " البعد العربى فى اغنياتها على نحو يعيد الاحساس بأهميه الوطن واهميه وحدته٠٠٠

"الحرب اهيه يا و لاد الارض

يا شباب سينا الفدائيه

اتوضو بنارها وصلوا

وهدوا الصهيونيه

وازرع جولان ٠٠وسينا

والجبهه الاردنيه

على كل شبر ٠٠ فدائى

وان مات٠٠ راح يطرح ميه"

ويعلن على نحو متواصل عن الوعى الحقيقى فى الانتماء والاعتزاز بالعروبه٠٠

"انا ومجد اجدادى

هز الدنيا وشق ٠٠ بحور

قبل الدنيا ما تصبح دنيا

ولا كان ليها تاريخ وسطور"

ويدرك كذلك ا بعاد الصراع الحضارى و الانسانى٠٠ معلنا عن هذا العدو ، لا يقصد واحدا منا بعينه بل يخوض حربا ضدنا جميعا دون ان يترك واحدا٠

"يا عدوى عروبتى وناسى

وكل تراثى

وكل حضارتى فى كل زمان٠٠٠

ولان الارض هي محور الارتكاز وهي القيمه الحقيقيه لمعنى النضال والدفاع الاساسي الذى يلهب الحما في النفوس من أجل المشاركه في الذود عن حمى الوطن والارض٠٠اعادت"ولاد الارض "اكتشاف المكان الذى تنطلق منه من جديد واعادت كذلك تلمسه على نحو مغاير عما كان عليه من قبل ٠٠قبل ان تنطلق كلمتهم ويعلو هدير اصواتهم التى التقت مع هدير المعركه٠٠

على الرغم من الحاله المأساويه التى كانت عليها المدنيه التى تحولت الى اطلال وجثث بارده بفعل الحرب ورحيل الاهالى بعد قرار التهجير منها٠٠والقصف المدى اليومى للمدا فع الاسرائيليه على مبانيها ومنشأتها٠٠٠ استطاعت اغنيات ولاد الارض ان تعيد دورة الحياه فى المدينه٠٠ ومن ثم راحوا يغنون لها من جديد٠٠ويعملون على اكتشافها ٠٠ ودراك اهميتها فى نفوسهم٠٠ ويعيدون حتى اكتشاف انفسهم من خلال فعل المقاومه ٠٠٠ فى مدينه مناضله وراحوا يعلنون عن الشوق والوحشيه الى عودة الاهالى ويوم النصر فرحة اللقاء ٠واعاد الشاعر رسم صورة المدينه من جديد شارع فشارع وحاره اثر حاره .. اذن هو يدرك تمام ان هذه الاصابات على جسد المدينه هى شاره علامه من علامات النصر الذى يؤمن تماما بأنه لابد وان يتحقق وان اللحظه الفاصله تكاد تكون رؤى العين٠٠

٠٠لوجيت لبلدى الغاليه تزور "كفر كامل"او "المرور"٠
عند "زرب" تقف انتباه
لبطولتها احنوا٠٠الجباه
واقروا الفاتحه٠٠وقول "ياغريب"

اصل السويس
بلد "الغريب"
ويواسي نفسه عن آلام الفراق للاهل والاحباب بالغناء..
"يسعد صباحك يابلدنا
يسعد مساكم ياحبايب
من طول غيابكم .. احنا دوينا
وفي بلدنا عايشين غرايب"
ويرفض ان تكون الزيارات التي تقوم بها الوفود من كافه طوائف الشعب المناضله مصحوبه بأى من ا شكال الشفقه والحسره على عذاباتها وتضحياتها مؤكدا ان هذا العطاء هو جزء من الحياة الحقيقيه وثمن المشاركه المحببه والمرغوب في الذود عن ارض الوطن
"ياريح السويس
حسك تدمع..عيونك
واللاراسك تطاطي
وتفكر في اللي راح
وتفكر في اللي اتي
بكره اجمل صباح
ح يطل ع السويس"
لقد كان الكابتن غزالي وشاعر ولاد الارض الاكثر ثقه في النصر من بين هذه الاعداد الضخمه من كتائب الشعراء والادباء والفنانين والمثقفين. وتجد في اغنيات ولاد الارض هذه الثقه اللامحدوده في النصر ومن بين حطام المباني الحزينه في المدينه يرسم احلام العوده والامل في غد مشرق لا تبدو مثل هذه الغيوم:
"غني للبيوت
اللي خنقها السكوت
وقوليلها شد تفوت
وح تشبع ملاغية

•وفـى المـرحله الـتى بـدأت مـع عـام ١٩٧١ انغشـلت" ولاد الارض" كعادتهـا واتسـاقا مـع خطهـا النضـالى والسياسـى بمـا يحـدث عـلى الصـعيد الداخـلى تماما كما انشـغلت بـا الاعـداد لـلمعركه واسـتعددها على خط النار٠٠

الا انهـا انضـم الى معظـم القـوى الوطنـيه الى راح تفجـر الاثلـه عـن عـام الحسـم وموعـد خـوض المعـركه وهـى الى كانـت تطالـب بـه عـلى الـدوام وجـاءت حـركه الطـلاب فـى الجامعـات المصـريه وكـان عـلى الفـرقه ان تعـيد هـذا الـنداء الاثـير الـذى كتـبه كـل بطريقـته واسـلوبه العديـد مـن شـعراء العاميه فـى مصـر وكـان مـن بـين هـؤلاء الشـاعر احمـد فـؤد نجم الـذى كتـب اغنيـته الشـهيره "يـا عـم حمـزه راجـع الـتلامذه لـلجد تانى"وغنت ولاد الارض٠

"ياعم حمزه
كبروا اللامذة
وقالوا لأ ٠٠لأ بالف همزة"
وترفض ولاد الارض اى مشروعات للسلام٠٠٠
"ياعم حمزه
الوقفه طالت وعايزة غمزة٠٠٠"

وتتندر الفرقه مـن بعض الافلام الى بدأ تنتشر فـى السـينما فـى محاولـه لتفريغ الوضع المتأزم والانتظار للحظه الانطلاق الكبير٠٠
عـبر اشـكال الالهـاء والتعيـيع٠٠وابعدهـم عـن هـذه الحالـه النضـاليه الى الانشـغال بالاعمـال الفنـيه الهابطـه والاغنـيات الـتى تلـوك معـانى باهـته وميـته ٠٠وتقـوم عـلى تزيـيف اجمـل المعـانى ٠٠ نـال فيـلم"خـلى بـالك

مـن زوزو" وحكايـه بنـت اسمهـا مرمـر " نصـيبهما مـن تقـريع ولـوم" ولاد الارض"

"خلى بالك من زوزو

احكى حكايه مرمر٠٠

واللى يجيب سيرة الخلا ص

على بوزة يتجر جر"

ومـن المؤكـد ان السـباق القـائم بـين عـدد مـن الشـعراء والمبدعين فـى هـذه الفـتره كـان عـلى اشـده وكانـت الفـرقه كـثيرا ماتـردد عـلى زمـلاء الـدرب مـن بـين القـوه الوطنـيه الـتى وقفـت عـلى رأس الـزاويه فـيها اليسـار المصـرى بكـل فصـائله٠٠ وتغـنى "ولاد الارض" بحضـور عـال فـى الاصرار والعناد السياسى

"أخنق زهورنا

٠٠ونصب الهليله

واعمل حسابك٠٠

في الضباب والزيف

طرح السنه دى

٠٠كان حصاده كيله"

وتسـتكمل مقـاطع الاغنـيه وهـى تشـد عـلى الايـدى المشـاركه فـى الكفـاح الوطنى والمصرى

"٠٠طوبى للزراع و الايدين مشدودة

طوبى للى ف الزنازن نازل

تهمته عشق الوطن و العيله"

وتصـل الى الـنقطه الحاسمـه فـى وعـيها ٠٠وهـى الـنظرة الدائمـه باتجـاه الشرق ٠٠صوب العدو

"والله زمان ٠٠ع القنال

والهجرة
الوقفه طالت
٠٠والحاله زادت ميله"
وفـى ميـت فـل "تطـرح الاسـئله مجـدد عـن الـتغيرات السياسـيه الى قامت وقتها ٠٠وتقول"
"وهيص يا خيشه
ويا شعبان
ولادك راحو
زكا رمضان"
هكـذا بوضـوح وقـبل ان تـردد الاغنـيه الشـعبيه فـى مصـر"عـن خيشـه"ادرك الشاعر المناضل ان الامور تسير على غير ما يرد الرجل الـذى يقـاوم ويصـر عـلى العـناد ٠٠ ويـرفض الهـزيمه وفـى اشـارة الى سحب الخبرء الروس ٠٠يقول
"واحنا غلابه
ولسه في حاجه
ندوق الوسكى
وهز الوسط
لان الفودكا
حاميه علينا"
ولان شارع الشواربى الشهير كـان فـى وسط القاهره كـان خير مثال في هذه الفتره٠٠للعالم المفتوح٠٠ والعيون التى تمعن البصر ٠٠
فـى فاتريناته وهـى تدقـق فـى الاسعار المثبته عـلى البضائع المتنوعه و المستورده مـن الخـارج باهظـه الـثمن٠٠وتعلـن عـن المفارقـه الفاجعـه بـين الارقـام وقيدرة المواطـن العـادى عـلى الشـراء ٠٠ربـط "ولاد الارض بـين هـذا الاختـيار الـرأ سمـالى الـذى يـأخذ مـثاله مـن الغـرب وبـين مـايدور

على ارض الواقع..وتبدأ الاغنيه ببساطه وهى تنهر من يحاول ان يفجر الاسئله..

"الخرس..بطل كلام
سياسه حرب..او سلام
أسهلك يابن والدى
تخش فى الزحام..
فى مولد..سيدك الشواربى
تفنط وابقى غربى
وجارى الزمان"

ويحاول ان يعثر على ايجابات لهذا المواطن الحائر بين الحرب والسلام واى سلام نريد ان نصل اليه..يعود مجدد الكابتن غزالى محاولا ا ن يجد الاجابه..

"ياموطن ياللى ماشى
وبتحلم بالسلام
افندى ولا صنايعى
او حتى تكون امام
حسك مرة تناقش
ا تسأل...سؤال
وتجيب سيرة الخلاص
والحرب والقتال"

وفى الجزء الذى يلى هذا المقطع نجد هذه المقارنه والمقاربه فى الصورة بين حالتين وضدين.

"ملعون ابوك وسينا
صدقنا مانسينا
يونيو والرجال

ياباره وانت مالك
هو القتل قنالك
م تتنيل وتسكت
وتربى العيال٠٠٠٠!!

من النصوص العبقريه التى غنتها "ولاد الارض في السنوات الى سبقت اكتوبر ٧٣ ،والتى المحت الى رؤى السلام القريب المرفوض فى المفاهيم وعقائد الفرق المناضله ٠٠

ذلك "المانفستو الطويل "المشروح والوضح الذى قدم صورة مقربه وحقيقيه عن تلك الفتره اغنيه "حلانجه بلانجه"

وعلى الرغم من صعوبه المفرده الشعبيه فى هذه الاغنيه إلا ان تضافرهما على هذا النحو داخل النص قد سهل من مهمه الشاعر واعطى اشارت اوليه الى مدلولها٠٠وقد فعل الشاعر ذلك فى بقيه المقاطع اذ قام على شرح كل مفردة بالتفصيل

"حلانجه ٠٠بلانجه
واى كلام
بنضيع وقت وهى ايام
مادام الحاله الباديه ٠٠ فضيه لافيها بسمه ولا دخان
تبقى العيشه
حلانجه ٠٠بلانجه
واى كلام"

ويقدم الشاعر الشعبى فى هذة الاغنيه كشف حساب٠٠

"فحنا قلوبنا
وآدى زنودنا
ويلا ياعم نمد خطانا
نرد حدودنا

ونبدأ نبنى سنينا الجايه"
الا ان هـذا العـرض لم يلـق اجابـه وكـان ان عـادت الحالـه الى ماكانـت
علـيه فـى بدايـه الاغنـيه بعـد ان تحولـت المـرحله الى مجـرد امـانى٠٠
واغـانى٠٠ عـن شـعارات العـلم والايمـان٠٠ ويفسـر القضـيه عـلى نحـو
درامى اسرع٠٠واكثر تلخيصا وتكثيفا فى صوره ورؤاه
"يوماتى نسهر
نكتب ليلاتى
نحكى ابعاد القضيه
القضيه يا رفاق
بالحداقه٠٠
العبره فى الدبارة
والقضيه مهلبيه٠٠"

على الرغم من الحاله المأساويه التى خلقتها الهزيمه القاسيه والجروح التى تركتها على جسد الوطن "الذى ضاع فى بحر يونيو" والاشعار والمقالات التى حرجت تعلن سقوط الامه وموتها وتشيعها الى الاخره وجاءت"ولاد الارض"تحمل روح التفاءول والامل ولم يكن هذ ا الامل سهلا او طيعا عند"ولاد الارض" او على شاكله اطلاق الكلام على عواهنه ،بل كان نتاجا للعمل المتواصل على الجبهه وبين الصفوف الفدائيين وزرع الحماس فى النفوس وإعادة رص الصفوف وتنقيتها من الشوائب ٠٠وتخطى التحديات الصعبه٠

ولذا جاء تفاءول"ولاد الارض اكثر صدقا وعمقا فمنذ اللحظه الاولى كان باب الامل مفتوح على مصراعيه فى اغنياتها ولم ليفوتها رسم وصياغه المستقبل فىا روع صورة فى احلك الاوقات٠ومن الصعوبه بمكان الالمام بهذا الجانب فى اشعار ولاد الارض٠٠

فقد ورد فى كل النصوص التى تغنت بها وكان ضمن سياق كل مفرده وكل جمله وكل مقطع من مقاطع اغنياتها،لقد كان الامل هو جزء من الخليط والعجينه التى شكلت هذه الفرقه النضاليه ومنذ شعار فات الكثير يابلدنا ٠٠ترى هذا الامل فى السطر الاول محددا ووضحا،ان مشوار الالف ميل يبدأ بخطوة٠٠

وفى هذه الاغنيه على وجه التحديد ترى هذه المفردات٠

"نصرك اصبح نشيدنا

واللى يعادينا مين

ح نشف الليل بسلاحنا

نجلب فكرنا ٠٠بكفاحنا

ونجيب النصر
هديه لمصر
نكتب عليه اسمينا"
وفي اغنيه "من عيون برج الحمام" ترى ايضا التفاؤل الواعي المقرون بالعمل والاستعداد من خلال هذا المدخل الذى يفرق بوضوح حالتين من حالات المعركه٠
"من عيون برج الحمام
بيطل مدفعي
طلقات في صدر عدوى زغروته في موقعي"
انها احدى صور حرب الاستنزاف اليوميه التى تشكل فيها الطلقه العربيه "زغروته"كامله في نفوس الجنود المتلهفين للنصر على الجانب الاخر من القتال ٠٠وفي هذه الاغنيه ايضا ترى هذه الصوره
"وازرع جولان وسينا
والجبهه الاردنيه
على كل شبر فدائي
وان مات راح يطرح ٠٠ميه٠٠
وفي "الله معاكي يا مصر" لايكف الغناء عن ترديد اسم المحبوبه وتصوير ذلك الحلم والامل في رؤيه النصر القريب
"يامصرنا ياحلمنا ٠٠٠ياعشقنا
احنا جنودك نفتديكي بعمرنا
ح نخطي بيكي الصعب٠٠
ونجيب الانتصار٠٠"
و في الغنية الحزينة و هي واحدة من أهم الأغنيات و المحطات التي وقفت أمامها أعين النقاد و رؤية المبدعين و المثقفين و

السياسيين ، هذه الأغنية التي صاغت كلماتها تلك العلاقة التي تربطنا مع سيناء ذلك الجزء المحتل .. و مدى أهمية رؤيتها لها ..

" راجعين لك يا سينا ..
نوفى دين علينا ..
سامعين صوت رمالك
و هي بتنادينا .. "

و في المقطع الأخير تتلخص الرؤية الواعية للشاعر الشعبي الذي يحتضن جراح وطنه و يعبر بصدق عن أمالها و أحلامها و يقول ..

راجعين لك يا سينا ..
يا قصتنا الحزينة ..
ح نزرع شمس بكرة
على صدرك جنينة "

و في عمق البكائية التي تودّع الشهيد لا يدع اللحظة تمر دون أن يضع شارة النصر و أن يعيد فتح باب الأمل في الغد و المستقبل و الانتصار ..

و في مرثية الشهداء و هي بكائية من " العديد " و البكائيات في صعيد مصر " و الموروث الشعبي الذي شكّل حياة الشاعر و مفاهيمه " راح يطبطب على جراح الوطن و يواسيه ساعة فراق الأبناء و استشهادهم و يمضى إلى مناشدة الحبيبة مصر ...

" امضغي صبرك يا بلدنا ..
يمكن ..
نهب .. نثور ..
نفرش " غِضانا " نهار
تتحنى بيه و تمدى

سير يا نسيم الصبح
نار .. ما تهدى "

و لقد آثرت أواخر هذا الجزء من الدراسة الإشارة إلى واحدة من الأغنيات الجميلة التي حملت القسم باسم الله ثلاثاً و هي ترسم صورة جميلة لعودة أبناء منطقة القناة و السويس على وجه الخصوص بعد الانتصار و كيفية شكل العلاقة الجديدة مع كل أرجاء المدينة و سيناء التي رأى فيها الشاعر بقدرته و نبوءته و عبقريته أيضاً شكلها بعد التحرير و الانتصار وكيف سيقف ابن القنال على الشاطئ ملوّحاً للسفن التي ستعبرها و هي تطلق صفاراتها الطويلة يقول بداية

" و الله و الله و الله
و الله حترجع تانى
لبيتك و لغيطك يا خال
و ح تلقى الرملة خضرة
على طول القنال و الله
و حتلقى شجرك عالى
و الفاكهة فيه بتلالى
و بتنده تعالالى
أنا غالية و مهرى غالى
من دم الرجال ..
و الله بكرة تخضر سينا
و تطرح فل يا خال
و كنوزها و خيرها حيكتر
و يفوق الخيال
و الله ح ترجع تانى لبيتك
و بنصرك تتخايل ..

و تحول من عيطانك

و برد الجمايل

من فوق شجر الجناين

تشاور لك السفاين

اللي ماشية بتتمايل

في البحر و القنال

و الله "

لقد كانت الغنية واحدة من الأغنيات التي حملت عبقرية ولاد الارض و نبوءتها للغد و الانتصار من بين الأطلال و الخرائب و في الوقت الذي فيه كانت بيوت منطقة القنال ثكنات عسكريه و خاليه من الاهالى و نسكنها البوم و تكاد يتخلع قلبها من الوحشة و الشوق و الحنين إلى ابنائها و إلى يوم الانتصار العظيم لقد كانت هذه الأغنية واحدة من النصوص العبقريه الجميلة لفرقة ولاد الارض التي استطاعت أن ترسم صورة الانتصار و ما بعد العودة و ترى مياه النيل و قد عادت الى سيناء قبل ان يتحقق النصر و تحلم بالغد الواثق و نرد

و في عام ١٩٧٣ تتجه البوصلة ناحية العاشر من رمضان و في السادس من أكتوبر تحقق الوعد للفرقة المناضلة و عبرت قوافل الجيش المصرى إلى سيناء .. و في هذه اللحظة المصرية و التاريخية التي فتحت لها الطريق أغنيات ولاد الأرض منذ يونيو ١٩٦٧ كان على الفرقة أن تغنى كما تغنى من قبل و أن ترقص و تطير فرحاً و هي ترى الأحلام تتحقق علي أرض الواقع .. و تغنى الفرقة للعبور .

" عبروا الولاد السمر
مجاديف الانتصار
جولك يا سينا بعد شوقة
يخلصوكى م التتار
جولك على جسور
من عضاهم ..
ينقشوا بكرة الحنيّن
من دماهم ..
رفعوا علمك يا بلادي
قمر في عز النهار "

و تشد الفرقة على أيدي كل المشاركين في تحقيق الانتصار " نسور الجو " تسلموا يا نسور بلادي "

و يلخص الشاعر معنى العبور كما يفهمه و يراه ..

" شدوا بكرة من ناب الديابة
غيّروا يوم الغلابة

هذه الفرقة التي وقفت في الليالى الحالكة لتعيد صياغة الذاكرة و تقوم على خلق قيم نضالية و إبداعية جديدة و هي تكتب على دفتر

الوطـن في هـذه الأيـام العصـيبة أجمـل الألحـان و أروع الآمـال في النصـر
ماذا تريد من كل هذه الوقفات النضالية العظيمة ..
" اضحك أنا ..
و اقول إن شاء الله
بعد النصر
يا هل ترى .. حتكوني .. فكرانا يا مصر . "

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٧٨٠ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-6077-06-4

أرك بورك للطباعة والنشر
ت : ٣٧٢٦٠٦٩ / ٠١٢ ف : ٦٣٦٦٠٣/ ٠٦٦